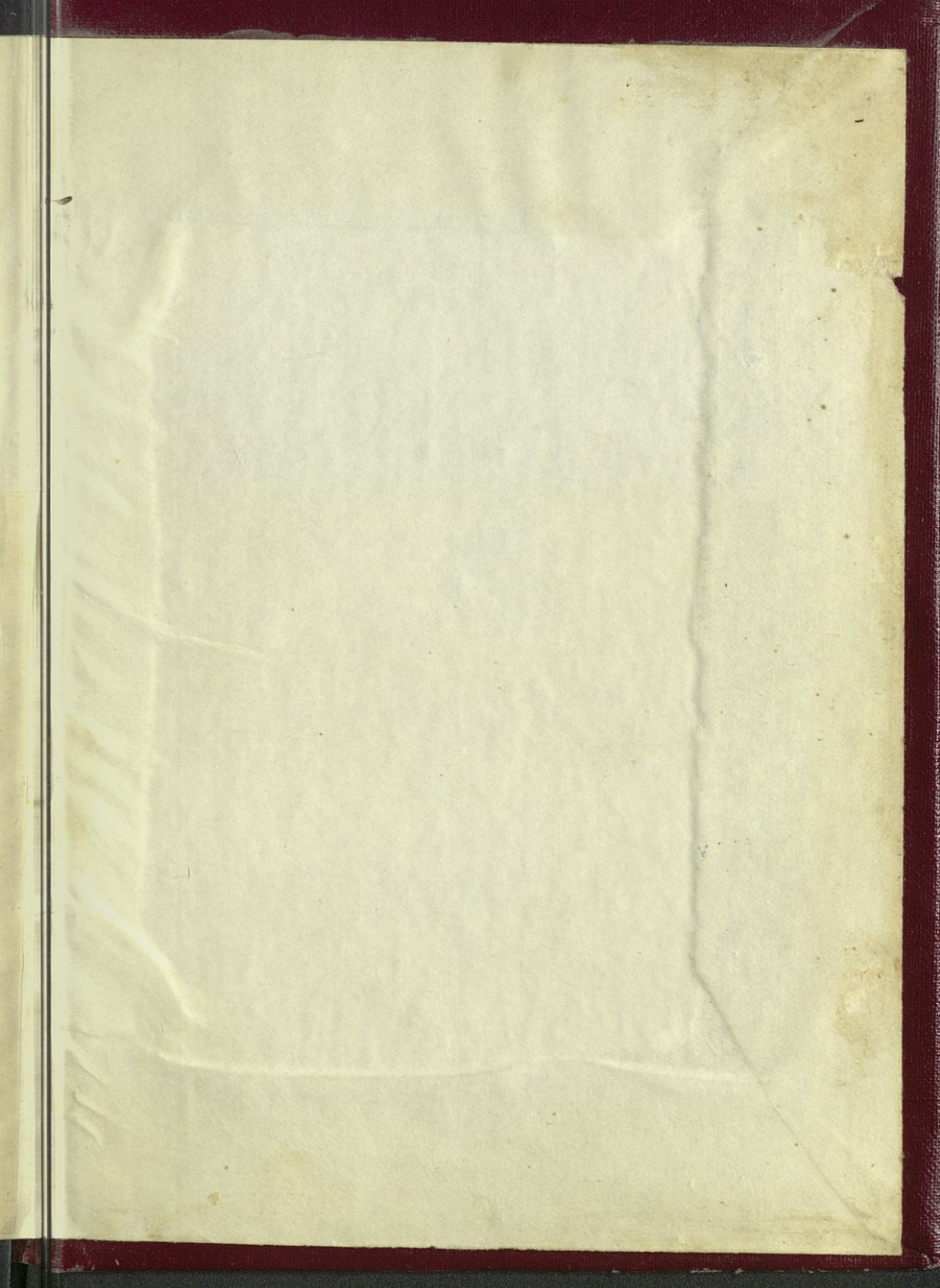


عبد الله

معارك بين الالهة



883.1:A13mA

عبد الله — محمد حسني

معارك بين الالهة •

883.1
A13mA

JN 154

MR 25/56

DE 7/57

1 MAY 1975

30 NOV 1971

C
1
5
2
1
H

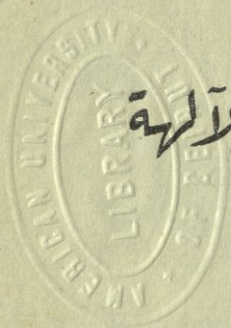
883.1

A13m A

C.1

محمد حسني عبد الله

٢٠٤



مَقَارِكُ بَيْنَ إِذَا لَرَهَةِ

Cat. 12 Nov. 53

مطبعة الاعتماد بمصر



مقدمة

بفهم حضرة صاحب العزة محمد فريد بك أبو حمير

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

قرأ العالم الإلياذة منذ ألاف السنين ، أو سمعوها غناء في
الأناشيد ، أو عرضوها لأنفسهم صوراً مختلفة في شتى الفنون .
وكان شعراء الأجيال المختلفة يقتبسون من خيالها ، والمثاليون
والمصورون يعيدون في فنونهم مناظرها . بل لقد كان القصاصون
ينتزعون حوادثها ليحلوا بها أقاليمهم في مشارق الأرض ومغاربها .
وليس من المصادفة أن يكون في الأوديسية اللاتينية شبه منها ، أو
أن يكون في قصص ألف ليلة الفارسية ثم العربية صلة كبرى بنماذج
أخيالتها . فلا جرم أن الإلياذة كانت وما تزال إلى اليوم نبعا
إنسانيا خالداً .

ومن عجب أن العرب الأوائل نقلوا عن اليونان فلسفتهم
وعلمهم ، واحتذوا في تأليفهم الأدبي كثيراً من مثلهم . ولكنهم

لم ينصرفوا إلى نقل إلياذة (هوميرو) فيما نقلوه من آثار عبقرية
اليونان . أ يكون ذلك لأن الذين توفروا على النقل من اليونانية
كانوا من صفوة العلماء الذين لا يعيرون إلى طرائف الأدب الاجنبى
التفاتا ؟ أم يكون لأن الأدب العربى بدأ فى سبيل غير سبيل أدب
الإغريق ، ومضى فى سبيله حتى أوغل فلم يكن بين الأدبين تشابه فى
الغاية أو فى الوسيلة ؟ أم يكون ذلك لانقطاع الصلة بين اللغتين
وقيام العداوة حينما طويلا بين الملتين ؟ لا نستطيع اليوم — ونحن
على مدى قرون من عصر النهضة الأدبية الأولى فى العربية — أن
نقطع برأى فى ذلك السر الذى كان له أثره الواضح فى الأدب العربى .
ولكننا لانشك فى أن إلياذة هوميرو قد تسربت إلى الأدب الشعبى ،
وأثرت فيه أثرا بليغا ، لاعت طريق الترجمة الصريحة المثبتة ولا عن
طريق التلمذة الظاهرة المعلنة . بل تسربت إلى الناس فى خفاء وغموض
كما تسرى تيارات الهواء بين الأقاليم ، وكما تغفل مياه السماء فى
أجواف الصخر من الهضاب البعيدة إلى بطون الاودية . وفى كل
ما تخلف لنا من الأدب الشعبى صور تنبى عن أصلها الهومرى —
نرى ذلك كما قلنا فى قصة ألف ليلة وليلة ، وفى قصة عنترة ، وسيف
بن ذى يزن ، وذات الهمة . بل إننا نلمح أثر الإلياذة فيما لم يكتب فى
الكتب من أدبنا الشعبى فنسمعه فى أناشيد المهد ، وفى (حواديت)

الأم ، والجددة إلى جانب السرير . ولست أنسى كما لا ينسى غيري ما اعتدنا سماعه في أيام الطفولة بما لا ينحيد له أثرا في كتاب . ولو جمع ذلك من شتى موارده لاجتمع منه سفر عظيم ينطق بما فيه من أثر الإلياذة . وقد تأثر الغرب بأدب اليونان تأثرا بليغا منذ عهد النهضة إلى اليوم . ولستنا نشك في أن تقدم الشعر والقصص في الأدب الغربي إنما يرجع إلى ذلك الأثر القديم الذي حرم منه أدبنا العربي . فالإلياذة وليدة فن اتجه إلى غاية الفن لم يقصد من ورائها إلى غاية أخرى . فهو شعر إنساني ينطلق مع الطبيعة البشرية ليمتع الطبيعة البشرية .

وكان هوميرو على ما قيل عنه يتنقل بين بلاد هيلامس يدب على عصاه وهو الشاعر الأعشى ، منشدا مطربا وهو قانع بما يعود عليه من إنشاده من رزق ضئيل إلى جانب متعته بالإنشاد . وقد جزته الإنسانية الجزاء الأوفى بأن حفظت آيته البديعة في قلوبها ، وخلفتها جيلا بعد جيل وديعة مروية حتى أدركها التدوين بعد قرون .

وإذا كان من النقد من ينكر هوميرو ، أو من ينسب الإلياذة إلى أجيال متعاقبة من الأدباء ، فإن الحقيقة لا تتغير ولا ينقص منها أن المؤلف مجهول أو متعدد . فليكن هوميرو الشاعر الأعشى حديث

خرافة ، او ليكن رمزا على مؤلف مجهول أو أجيال من مؤلفين ،
فإن ذلك لا يغير الحقيقة الماثلة أن الإلياذة أثر في أصيل خالد انبعث
عن النفس البشرية الصافية التي صورت جوانب من القلب الإنساني
في أسلوب يجمع بين قوة الطبيعة وصدقها وجمالها .

والأدب الغربي حافل بالإلياذة وثمارها وما اقتبس منها وما نسج
على غرارها . فالقوم في شتى بلاد الغرب يتخذون منها أنماطا متباينة ،
ويفتنون في عرضها على أنفسهم صفارا وكبارا . بل إنهم مازالوا
إلى اليوم مع ما بلغوه من تقدم في الأدب يستعيدون صورها
ويعتمدون في تأديهم على أساليبها . لقد اتسعت الشقة بين الأدب
الأوربي الحديث وبين الأدب الهومري الساذج ، ولكن جوهر
الإلياذة الخالد مازال ولن يزال محفوظا بقيمته الفنية العالية .

والأدب الحديث في أسمى صورهِ لا يستطيع أن ينفصل عن
العاطفة الانسانية أو عن قصة البشرية في حياتها وما يتصل بذلك
من خير وشر أو سعادة وشقاء . والاثَر الذي يستطيع الأدب
الحديث بلوغه في أكمل حالاته إنما يكون بمقدرة الأديب على مس
القلب الإنساني بأسلوبه ونجاحه في أن يودع فيه ما يريد من مشاعر .
وهاتان ميزتان تجعلان الإلياذة خالدة على مر الدهور .

وقد فطن أدباء العربية إلى قيمة الإلياذة فأقبلوا عليها في أيام

النهضة الحديثة يترجمونها نثراً أو شعراً ، ويقتبسون منها حيناً ، أو يدسون في آثارهم بعض صورها .

ولكن الإلياذة جديدة بأن تزداد في أدبنا وضوحاً ، وأن يكون أثرها في إنتاجنا أعمق وأبعد من نقل جزء أو اقتباس منظر . ولو حرص شعراؤنا الناشئون على ترسم أسلوب الإلياذة في إنشائهم لوجدوا طرائق جديدة لتأليفهم ، ولكتشفوا من نبوغهم مناحي لم تخطر للذين سبقوهم في ميدان الشعر . فمن شعراء الشباب جماعة تكمن في قلوبها عبقرية خامدة وهم لا يخرجون عن طرائق القدماء في الإنشاء ، فلا يزيد إنتاجهم على أن يكون تكراراً لما سبقهم لا ابتكار فيه . ولو مضى الشعر العربي في هذا السبيل لما كان فيه إلا عود على بدء ونشر بعد طي . على أن القلب الإنساني في حاجة إلى من يسبر أغواره ، ومن يسوق إليه القول المطرب الذي يهز أوتاره . وأغلب الظن أن شعراء الشباب لو حفلوا بالإلياذة وتذوقوا حسناتها وتأثروا بأسلوبها لتوجهوا إلى وجهة جديدة فيها كثير من الإبداع . وقد لمحت مثل هذا الإقبال من صديقي الأستاذ الأديب محمد حسن منذ عهد بعيد ، فقد اقتبس من الإلياذة هذه الصورة التي سماها « معارك بين الآلهة » . ومن أشق الأعمال أن يعمد أديب إلى عمل عظيم ليجمله في صورة تستطيع العين اللاحقة أن تجمعها ، فإن هذا

يحتاج إلى مقدرة في الفهم والاداء ، وإلى نضوج في الأسلوب وحكمة في الاختيار والإجمال ، وإلى براعة في إبراز الخصائص التي تتضمن روح العمل الأدبي وتحفظ بجوهر أثره .

وقد قرأت هذا الكتاب الذي توفر الأستاذ على وضعه منذ سنوات طويلة كان في أثنائها يحاسب نفسه ويراجعها ليكون في إجماله أمينا وفي أسلوبه مبينا . فكأنني وأنا أقرأ هذا السفر المجلد إنما أقرأ ترجمة موفقة لقطعة كاملة من الأثر القديم . فقد وفق الأستاذ في وضعه توفيقا عظيما ، في تجلية الصور واضحة ، وفي طريقة أدائه التي تعتمد فيها البساطة ، حتى لا يحجب ما وراء اللفظ من الصور .

ولعل بدء الأستاذ بمثل هذا العمل يكون إرتيادا وإشارة إلى الميدان الفسيح الذي نعتقد أن أدبنا الناشئ في أشد الحاجة إلى ولوجة . وأنا على يقين أن القراء سيجدون فيه ما وجدت من متعة صادقة ، ومن تقدير لمجهود صادق يبدله أديب مثقف يجمع بين الحماسة للغة العربية وبين الإيمان بضرورة التعاون بين شعب الفكر الإنساني في الشرق والغرب ؟

محمد فريد أبو حمير

١٩٥٠ / ١ / ٢١

خرج بليوس ملك فسيا إلى شاطئ البحر ليستريح ويستروح
نفسائه ، واعتلى صخرة فجلس عليها ، وأخذ يصب أنظاره بعيدا إلى
الآفاق وهو مأخوذ بروعة المنظر .

وكان ملكا شجاعا مقداما محبا للمخاطر ، يطيب له أن يخرج وحده
في أكثر الوقت إلى حيث ترفل الطبيعة في أبهى حللها ، فيكون
استمتاعه بجماها غير مشوب بما ينتقص منه من حديث رفيق أو
خطاب تابع . . . لأن الوحدة تعين على الاستغراق والتفكير وتفهم
معاني الجمال .

وكانت شجاعته حافزا له على إلتماس هذه الوحدة في الأماكن
المقفرة والأرجاء الخالية من الناس . وهناك على شاطئ البحر
حيث تتوعر الصخور في بعض نواحيه لا يعز عليه منشوده ولا
يتعذر عليه مطلوبه .

جلس بليوس على الصخرة التي اختارها ليطل منها على البحر .
ثم أخذ يتابع يبصره الأمواج التي كانت تقبل إلى الصخور ، فترطم
عليها ثم تنحسر عنها . فإذا موجة منها تأخذ في الارتقاء حتى تصل
إليه وتكاد تمس أقدامه . . . ثم تنفصل عن أمواه البحر

وتتخذ لنفسها طريقا مستقلا على غارب الصخور ، ثم تندفع إلى غار في جوفها .

إذ ذاك نهض بليوس وعلى وجهه إمارات الدهش . وكان المنظر حريا بأن يخيف غيره . ولكنه ملك ثبات الجنان ، قد اتصف بالشجاعة ، فلم يتسرب الخوف إلى قلبه ، واستيقظ في نفسه حب الاستطلاع ، وفطن إلى أن هذه الموجة لا بد أن تكون حورية من حوريات البحر ، تتخذ من الغار مسكنا . وهي إذ تأخذ طريقها إليه إنما تتشكل بصورة الموج ، مخافة أن يراها بشرى فيستدل عليها ، ويحاول إزعاجها وإقلاقها .

ولعله يرتاع عند رؤية هذا المنظر الغريب ، فيولى هاربا ويريحها من تطفله .

فطن إلى ذلك وأحب أن يرى هذه الحورية من بين الحوريات . إذ المشهور عنهن جمال منة الطير ، وفتنة تغرى بمشاهدتهن . فأخذ سمته نحو الغار ، الذي اتجهت إليه الموجة حتى وصل إلى مدخله ... فإذا بخار يتصاعد منه . فاستل سيفه ، وأخذ يلوح به يمنة ويسرة ، محترقا به البخار الذي أخذ ينقشع رويداً رويداً ، ولكنه لم يلبث أن تحول إلى نار تستعر ، ذات هيب ودخان وأخذت تنتشر انتشاراً سريعاً ذريعاً ، حتى كادت تلتف حول بليوس . فثبت في مكانه ، بل حاول أن

يقتحم النار اقتحاما ، فإذا النار تصير صخرة صماء ، تسد باب الغار
سدأ محكما ، فقال :

— أيتها الصخرة الصماء أطفئ خيال أنت ، أم ساحرة
من سحرة الإنس ، أم حورية من حوريات البحر الفاتنات ؟
فأنفضت الصخرة ، فإذا هي صورة سميع بمعرفة سوداء ، وكان هو
الذى أجاب قائلا :

— بل أنا وحش لا ضريب لى أستطيع أن ألتهمك فى دقيقة
واحدة . ولكنى معجب بشجاعتك أشد الإعجاب أهذا
الرجل الجرىء المقدام دعنى وسر فى سيدلك فى لى لأحب
أن أتعرض لك بشر أو سوء مكافأة لك على أقدامك .
فقال بليوس :

— أشكر لك حسن ظنك بى ولكنى ما زلت أحدث
نفسى بأنك حورية هيفاء ، لا وحش ضار ، وإلا لكان الشر مقدما
عندك على المسالمة والموادة ، ولكان لى معك شأن آخر
بل إذا كنت وحشا ضاريا فى لى أتحداك ولا أستملك
فإما دافعت عن نفسك ، وإما كشفت لى عن حقيقةتك .
ثم تقدم بليوس من السبع ، الذى تقاعس عنه ، وأخذ يتقهقر
قليلا قليلا ، ثم أفلت من الغار ، واستحال فى خارجه إلى دوحة باسقة

وارفة الظلال، متعارضة الأغصان، تتطاير على أفنانها الأطيّار، وتتغنى بأعذب الألحان متجاوبة متصاحبة . فاتجه نحوها بلبوس ، واستند على جزعها ، وقد أيقن أنه حيال حورية تتعابث بهذا التشكل ، لا وحش ضار ، كما أرادت أن تدخل في روعه ، وإلا لكان منه ما يكون من الوحوش الضارية من شر واعتداء .

وأخذ يعمل فكره في الوسيلة الناجعة التي يستطيع بها أن يصل إلى بغيته من رؤية صورتها ، فتذكر ما كان قد تعلمه من سحر على يد « شيوخ » هذا الحيوان المسن ، الذي كان أحكم من كثيرين من بني البشر . فأخذ يتمم ببعض الألفاظ ، ويأتى ببعض الحركات ويلوح بيديه ، ويضرب بقدميه ، حتى ضاقت الشجرة ذرعاً بأعماله ، وشعرت أنها غلبت على أمرها ، بما أتى من ضروب المهارة في محاولته السحرية ، فإذا هي تستحيل إلى صورة آدمية رائعة الجمال . فقال لها بلبوس وقد شاهد أن لها أقداماً فضية عاجية :

— يا ذات الأقدام الفضية ، يا رائعة الحسن . ناشدتك أن تصدقني القول ، وأن تميّطى اللثام عن حقيقتك . . . بربك من أنت ؟

فقلت الحسناء ذات الأقدام الفضية العاجية :
— أما وقد أظهرت من الجرأة ما جعلني أكبرك وأعجب بك ،

فإني يطيب لي أن أخبرك أنني « تيتيس » إلهة البحر .
فردد بليوس قولها مأخوذاً متعجباً :

— تيتيس إلهة البحر !! تيتيس إلهة البحر !!

ثم قال : إني إذن لسعيد . . . ولكنني كنت أؤثر ألا تكوني
إلهة يعجزني أن أتقرب منها . . . وكنت أفضل أن تكوني
حورية من حوريات البحر ، أستطيع إذ يروقي حسننها ، أن أتخذ منها
زوجة . . أما وقد سحرني جمالك أيتها الإلهة العظيمة ، وفي الوقت
ذاته أراني عاجزاً عن اتخاذك شريكه لحياقي ، فإني أعترف لك بأني
سأظل طيلة الحياة متحسراً متأسفاً على استحالة الجمع بيني وبينك .
فقلت : وما يضير أن أكون زوجة لك . أو ما يتخذ كبيرنا
« زوس » زواجاً عدة من البشر . لم لا أتأسي به وأحتذى
حذوه ؟ . . ولأنت خير من صادفت من البشر . وما يروقي
أن أتخذ زوجاً من بين الآلهة . . أعذك أن سأكون لك زوجة .

ثم أقبلت نسائم البحر فحملتها على أجنحتها ، ووضعتها على
غارب الأمواج . وأفلعت تيتيس بعيداً عن الصخور المتوعدة ،
وبليوس واقف لا حراك به أشبه بمن لا يصدق بصره وسمعه .

(٢)

عند ما بلغت « تيتيس » ما وراء دائرة الأفق ، التي كانت تصل

إليها أنظار بليوس ، استقلت سحابة بيضاء ، وصعدت عليها إلى « الأولمب » حيث يقطن أقاربها من الآلهة ، واتجهت إلى قصر كبيرهم وأبيهم « جوبتر » إله الآلهة الذي يسمى « زوس » أَيْضَلْ فَقَصَصَتْ عَلَى مَسَامِعِهِ مَا كَانَ مِنْ مَصَادِفَتِهَا لِبَلْيُوسِ عَلَى صَخُورِ الْبَحْرِ ، وَمَا كَانَ مِنْ مَحَاوَلَاتِهِ حَتَّى اكْتَشَفَ أَمْرَهَا . وَاعْتَرَفَتْ لَهُ أَنَّهَا قَدْ أَحْبَبَتْهُ لِبَسَالَتِهِ وَوَعَدَتْهُ بِالزَّوْاجِ .

فابتسم كبير الآلهة ، ولم ير أن يعارضها فيما ارتأت . فهذا شأنها هي وحدها فضلا عن أنه يستلطف البشر ، ولا يرى من بأس في أن يجمع الزواج بينهم وبين الآلهة . . فهذا خَلِيقُ بَأْنِ يَتَحَفُّ الْعَالَمُ بِأَبْطَالٍ لَاغْنَى لِلْعَالَمِ عَنْهُمْ يَتَوَلَوْنَ مِنْهُ الْمَقَادَةَ وَالزَّعَامَةَ . . وَهُوَ أَوَّلًا وَأَخِيرًا مَسْئُولٌ عَنِ عَالَمِ الْآلِهَةِ وَعَالَمِ الْبَشَرِ ، وَيَسْرُهُ أَنْ يَقْرُبَ بَيْنَ الْعَالَمَيْنِ . لِذَلِكَ أَقْرَاهَا وَرَأَى أَنْ تَعْلِنَ أَمْرَهَا لِبَقِيَةِ الْأَرْبَابِ . فَذَهَبَتْ إِلَى هِيرَا ، أَوْ جِينُونِ كَمَا تَسْمَى أَيْضًا ، وَهِيَ زَوْجَةُ كَبِيرِ الْآلِهَةِ الْمَفْضَلَةِ ، إِحْدَى زَوَاجَاتِهِ السَّكْثِيرَاتِ ، فَسَاقَتْ إِلَيْهَا الْخُبْرَ . . ثُمَّ سَاقَتْهُ إِلَى أَفْرُودِيتِ رَبَّةِ الْجَمَالِ ، وَإِلَى بِلَاسِ أَثِينَا رَبَّةِ الْحِكْمَةِ ، فَأَهْجَنَ النَّبَأُ وَأَثْلَجَ صَدُورُهُنَّ . . ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ الْخُبْرُ أَنْ ذَاعَ بَيْنَ بَقِيَةِ الْآلِهَةِ .

(٣)

عاد بليوس إلى قصره شارد اللب موزع القلب . فما رآه في يومه
 كان عينا لا ينسى . . فضلا عن أن صورة الإلاهة ما برحت تتردد
 في خياله . وآوى إلى مضجعه فما اكتحل عيناها بالنوم ، وأخذ
 يحدث نفسه : أتصدق الإلاهة في وعداها ؟ . . أتزوجه حقا وهو
 من البشر ؟ . . وبينما هو يتقلب في فراشه إذا هو يسمع طرقا خفيفا
 على النافذة ، فاستوى قائما ، وهبط إلى أرض الغرفة مسرعا ، وفتح
 مصراعي النافذة ، فإذا هرميس رسول الآلهة ، مطلا بطلعته البهية
 متحدثا بلسانه الساحر :

— أي بليوس . . . أنا مبعوث الآلهة إليك . . جئت
 أعلمك بأن سكان الأولمب قد أحاطوا علما بما وعدتك به « إلاهة
 البحر » . وقد رأوا أن تزف إليك تيتيس في قصرك هذا .
 فقال بليوس : أتيتيس صادقة أذن ؟
 فقال هرميس : ومتى كان الكذب من خلق الآلهة ؟
 فقال بليوس : معذرة . . أكاد من فرط المسرة لا أصدق .
 فقال هرميس : صدق أو لا تصدق ، ولكن عليك أن تعد
 معدات الاحتفال في مثل هذا اليوم من الأسبوع القادم ، فسيحل
 بك الآلهة ضيوفا في ذلك اليوم .

ثم لم يمهل رسول الآلهة الملك بليوس حتى يسأل عما ينبغي أن
يعد من احتفال يليق بمقام الآلهة . فحرك جناحيه واستقل الهواء
تاركا ملك فيسسيا ، ذاهلا عن نفسه ، يكاد من فرح أن يغيب عن
حواسه . واسكنه لم يلبث أن تمالك نفسه ، ويمم ناحية الفراش ،
فاستلقى عليه ، ثم استرسل في الأحلام السعيدة والأمان المعسولة ،
والنوم مستعص عليه حتى قامت جيوش الفجر تطرد أمامها جيوش
الظلام ، فأخذته سنة من النوم .

(٤)

كان اليوم الذي ضربه هرميس موعداً لاحتفال الآلهة بزواج
تيتيس من بليوس يوم اثنين . وكان يقع من بين الفصول في فصل
الربيع ، الذي أخذت أزهاره ووروده تتضوع ، ويملاً أريجها الجو ،
وأخذت أطيّاره تطير وتتصاحج ويملاً غناءها وهتافها الاسماع . . .
فكأنما اتفقت الطبيعة والسعادة على أن يكون ذلك اليوم فريداً .
فما أقبل الليل وزهرت النجوم في قبة السماء ، حتى أخذ الآلهة
يهبطون إلى الأرض وحدانا وجماعات . وكان بليوس قد أولم
بقصره ولية فاخرة منقطعة النظر . فتصدرها زوس كبير الآلهة بطبيعة
الحال . وجلست إلى يمينه زوجته هيرا . . . وإلى يساره ابنته أثينا ،
ثم تلتها أفروديتي ، فغيرهم من الآلهة . . . وكان بين المدعوين «ربات

الأقدار . وهن ربات ذوات طول وحول ، لهن سلطان على الناس ، كما لهن سلطان على الآلهة .. وكان حضورهن هذا الاحتفال بمثابة تشريف للعروسين .

وكن يحملن المغازل في يمينهن ، وهى مغازل أعدت لغزل أعمار الناس . فأخذن يدربنها ، وهن يتغنن متنبئات بأن سيكون لهذا الزواج ثمرة مباركة ، يتعالى لها صيت بعيد وقدر بين الرجال .

وثمة إلهة ، هى إلهة الخلاف ، وتدعى أريس ، لم تكن قد دعيت إلى هذا العرس : وهى إلهة حسودة تنهش الغيرة صدرها ، ولا تغفر لاحد تفریطه فى حقها . فأهملها وأغضبها ما كان من بهجة الحفل ، فألت على نفسها أن تفسد هذه البهجة ، وأن تبعث من المسرة خلافا بين الآلهة من شأنه أن ينفرط له عقد الحضور عاجلا دون أن يطول استمتاعهم وسرورهم . فأقبلت حاملة تفاحة ذهبية مشرقة كالشمس ، ثم ألقت بها على الخوان ، فإذا أبصار الحضور تشخص إليها وتتطلع النفوس إلى أخذها .

وكان مكتوبا على التفاحة « مهداة لأكثر كن فتنه وجمالا » . فلما تبينت الأبصار هذه العبارة ، اشتد خصام هيرا وأثينا وأفروديتى عليها ، فقد كانت كل منهن تعد نفسها فى جمال لا تدانيها فيه إلهة أخرى . وكاد خصامهن ينقلب إلى تماسك وسباب لا يلىق بوقار الآلهة ومالها

من قدر ، لولا أن احتكم إلى زوس ليحكم أيهن أربع جمالا ، وأيهن
أحق بالتفاحة . . . فخاف زوس مغبة قضائه ، وخشى أن يحكم
لامراته أو لأحدى ابنتيه — وهما من زوجتين أخريين —
فيسوء بسخط اثنتين معا .

فقال هن : مهلا . . . على رسلكن . . . فإنا بقاض
أيكن أحق بالتفاحة . . . فكلكن عندى سواء ، وكلكن جميلات
إلى محبيات .

ولكني أدلكن على راع جميل على جبل ، إذا ، أرى أن
أستطلع رأيه ، وأحكمه فى الأمر ، وعليه هو أن يختار أجملكن .
وهنا استدعى إيريس رسالة الآلهة وأمرها بأن تطير بالتفاحة
إلى هذا الراعى ، فتلقمها بين يديه . . . فأثمرت بأمر كبير الآلهة .
ثم أعقب ذلك أن انفض الحفل بعد أن تم زواج تيتيس من بليوس .

(٥)

كان باريس الراعى الجميل يرعى الغنم ، وهو يرسل من مزمارة
أنغاما جميلة على جبل « إذا »

وكانت الأغنام مبشوة فى المروج ، متفرقة بين الصخور ، حيث
الأعشاب الجبلية نامية متكاثرة ، فهى مشغولة برعيها مقبلة على
طعامها اليوى فى حراسة كلب كبير ضخم يطمنن باريس إلى عينه

الساهرة وحرصه على النباح إذا لاح في الافق ماينذر بالخطر .
سواء أكان مصدر هذا الخطر إنسانا من بين الناس ، أم وحشا من
بين الوحوش ، أو طيرا كاسرا من بين سباع الطير .

وكان باريس منتحيا ناحية قصية بعيداً عن أغنامه ، مطمئنا إلى
كلبه الذي عهد إليه بحراستها .. وكان معنيا بالنفخ في مزماره ، وإلى
جانبه حوريته إينون .. هذه الحورية التي تنفرد بجمال نادر من بين
الحوريات . وكانت هي مبعث إلهامه .. فما تكون إلى جواره حتى
تكون أنغام موسيقاه شجية عذبة جامعة لكل جميل من الأصوات
الشادية ... فقد يحسبها الإنسان هديل حمام ، أو تغريد طائر أو
خريف ماء ، أو كلها معا .

وقد اعتادت إينون أن تخرج اليه من بين امواج البحر —
لأنها ابنة كبيرين إله النهر — في كل صباح ، فتظل معه طيلة النهار
لا تفارقه حتى تغرب الشمس ويدلهم الظلام ، ويحين أن يعود
بأغنامه إلى كوخه . إذ ذاك تودعه ، وتلوح له بيدها وهي ميممة
نحو الامواج لتختفي بينها . فإذا انطلق إلى داره أمضى ليله حالما
بها ، مستعرضا صورتها الحلوة وحديثها العذب . فلا يكاد ينشق الفجر
حتى يكون أول مستيقظ رجا أن يجمعه ضوء النهار بهذه الحورية
الوفية المخلصة .

كان باريس إذن جالسا في ذلك اليوم كعادته وإلى جواره إينون .
 وكانت الحورية مهمومة على خلاف العادة ، تثقلها أحزان لا تدرى
 كنهها . فلعلها كانت تحس أن سيجد جديد في حياتها مع صاحبها
 الجبلي الفاتن الشجاع وكانت موسيقاه في ذلك اليوم أشد
 روعة . فكأنما كانت هذه الخلاوة الآسرة ، وتلك العذوبة إيدانا
 بانقضاء عهد جميل فما تنهاى الأشياء إلا حين تؤذن بالانقلاب
 إلى ضدها وعكسها .

وإنهما لسكذلك وإذا التفاحة الذهبية التي بعث بها زوس
 مع رسول الآلهة تسقط بين يدي باريس ، فالتقطها فرحا دهشا من
 حسنها ، وتساءل من أين جاءته . فقالت له إينون وقد أحس قلبها
 شيئا غامضا مبهما :

— دع هذه التفاحة ... أى باريس ، وأطرحها بعيداً عنك ،
 فإنما يخيل إلى أنها ما سقطت بين يديك إلا لشر .

فقال : عجبا . . . وكيف يكون الشر من الأشياء الجميلة ؟
 فقالت له : لا تغتر بالظواهر . فإن قلبي يحدثني أن ظهور هذه
 التفاحة سيكون عاملا للفرقة بيني وبينك .

فقال لها : دعك من هذه الأوهام إنما هو فرط
 الحب الذى يخيل إليك ذلك . ولكن إذا كان يرضيك أن

أثدفها إلى اليم ليبتلعها ، فإني فاعل .

وهم بان بلى التفاحه فى الماء ، سوى أن شيئاً بهته فجعله يقف لاجراك
به ، والتفاحه ما تزال بيده . ذلك هو ظهور الآلهات الثلاث على
ربوة قاحلة ، ما كادت أقدامهن تطووها ، حتى نبت المشب والزهر فى
مواقع أقدامهن . وكانت بالسماء غمامة فانقشعت ، وكانت الشمس
متوارية وراء السحب فلاحت للأبصار . . لقد استحال كل شيء
جميلاً فاتناً ، وزاد النور الذى كان يشرق من حيا الإلهات الثلاث
الاشياء بهاء ورواء وفتنة .

وما رأتهن إينون حتى اختفت بين الخنائل . وتقدمت هيرا
كبيرة الآلهة ، فقالت وهى تحاول إغراء باريس بصوت ناعم
رفيق :

— لا ترع أى باريس . . لقد جئناك لخير . أنا هيرا كبيرة
الآلهة . بوسعى أن أسعفك بطلميتك ، وأن أحقق أحلامك . . فلا بد
أن تكون لك أحلام وأمان كمثل الشسباب . . فلعلك تحلم بالمجد
وتحب أن تكون صاحب سلطان عريض ، وسيد أراض مترامية ،
ومالك مروج ومزارع تشرف عليها حصون وقلاع ترد عنها كيد
المغير ، وتصون لك مالك وأتباعك . ولعلك تود كذلك أن يكون لك
ثغور ومرافىء تحملها السفائن بشرائعها ، وهى مبحرة عنها أو راسية

عليها . . . لعلك تحلم بذلك ، وتطلع اليه لتكون موضع التجارة من
كبير الناس وصغيرهم .

فقال باريس : مهلا . . . يا كبيرة الآلهة . . أين لي كل
هذا وما أنا إلا راع لا أعهد لي موطنًا غير هذه الجبال القاحلة ،
ولا أهلا غير هؤلاء الرعاة الفقراء ، ولا ملسكا غير تلك الأغنام
الناحية .

فقالت هيرا : أنت تجهل الكثير عن أصلك ، وإذا شئت
أعلمتك أنك ابن ملك عظيم ، وكل ما سأفعله من أجلك هو أن أعيدك
إلى موطنك فيعود إليك مجدك ويتحقق ما أمنيك به .

فقال باريس : إذا كنت ابن ملك كما تقولين ، فما الذي أتى لي
إلى هنا . . . وكيف يكون ذلك ، وأنا لم أعرف لي أبا غير هذا
الراعي الشيخ ، الذي درجت في أكنافه ، وشبيت في رحابه .

فقالت هيرا : إذن أنا قائلة لك ما تجهل من قصة حياتك .
موطنك مدينة طروادة التي تقوم على الساحل الآسيوي من بحر
إيجيا . . وأبوك بريام عاقلها . . وأمك هي كوبرا ملكتها . .
وأخوك هكتور الذي عرف بالشدة والبأس والبطولة الفذة .

حملتك أمك بعد هكتور ، فأنت أخوه الأصغر . ورأت فيما يرى
النائم ، وهي حامل بك حلما أفزعها . رأت أنها ممسكة بيدها مشعلا

أشعلت به المدينة ، فالتهمتها النيران وأضحت أثرا بعد عين . فقامت من نومها مذعورة مرتاعة ، وقصت حلمها على الملك ، فأمر بإحضار العرافين ، الذين فسروا الحلم بأن مولدك سيكون نكبة على المدينة العظيمة .

وحين ولدت ، جمع الملك وزراره وكبار رجال دولته ، واستشارهم في أمرك ، فأشاروا بقتلك حرصا على الملك ، مخافة أن يتحقق ما رأت الملكة من حلم . ولكن عاطفة الأبوة أثبت أن ينفذ هذا الرأي . ورأى أبوك ردمك أن يستبعدك عن ملكهما ، فأمر بالقاءك على سفوح التلال المجاورة . فملك حاجبها إلى جبل إذا ، وتركك على أغصان شجرة متعارشة ، فمر بك أحد الرعاة وفرح بعثوره عليك ، وحملك إلى كوخه ، فسهر على تربيته وتنشئته في كنفه حتى صرت شابا جريئا ، مقداما ، حلو المظهر والنخبر ، سمحا رضى الخلق ... ذلك الراعى هو الذى تحسبه أباك .

سمع باريس مقال الإلاهة ، والعجب يأخذ منه . . وحن إلى رؤية أبيه وأمه الذين ساقوا إليه أخبارهما . . ولكنه فكر فيما بينه وبين نفسه : « وماذا يهمها هي في أن تعيده إلى موطنه » . وكانما فطنت هيرا إلى ما يدور بنفسه فقالت له :

— ولكني لا أرد عليك ملكك ، وأيسر لك العودة إلى موطنك ،

إلا الشيء واحد أطلبه منك : . ذاك هو أن تعطيني هذه التفاحة التي تشرق بين أصابعك . وكان باريس على وشك أن يعطيها التفاحة ، حين صاحت به بلاس أئينا : « أن توقف واحتفظ بتفاحتك حتى تسمع مقالتي كذلك ، وأظهرك على ما سأخصك به بما يفوق ما وعدت به هيرا .

أنا منير فاربة الحكمة . وأدعي أحيانا بلاس أئينا ، وفي قدرتي أن أجعل منك أحكم الرجال وأنبلهم . . إن السلطان والملك شيء جميل ، ولكن أجمل منه نعمة العقل ودولة الخيال والفكر ، وما العقل والخيال والفكر إلا دولة مترامية الأطراف ، لا يحدها حد ، ولا تعرف لها نهاية . . وهي دولة ساحرة خلافة . . لا يرضى صاحبها عنها بديلا ، ويقنع بها عن كل سلطان ، ويراه دونها في المتعة الحقبة بالحياة . وهل كانت الحياة إلا فسكرا . فضلا عن أنه ما يكاد يتسم بها إنسان حتى يبعد صيته وتطير شهرته وتكون له في قلوب الرجال منزلة أبدية ، إذ أن من هذا شأنه يكون للناس هاديا ومرشدا ومعلما وغارس الفضائل في نفوسهم . سأدلك على الحقيقة ، وسأرشدك إلى الفضيلة ، وسأكون معوانا لك في نشرهما بين الناس . ستكون صائب القول ، صائب الفعل ، مسدد الخطى . ومن كان هذا شأنه ، لا يتسرب الخوف إلى قلبه ، لأنه لا يفعل ما يخاف منه .

سأهدى الناس إلى السعادة الحقة ، وستنشر بينهم العدل ، وتأمر
بالمعروف ، وتنهى عن المنكر .

ستكون عظميا يوقرك الناس ويشيدون باسمك .

إذ ذاك قال باریس :

— هذا شيء جميل حقا ، وأراه أثر عندى ، وأقرب إلى قلبى .
وحاولت إينون أن تسمعه رأيها فى هذا الأمر ، فقد كانت
تؤثر ذلك أيضا ، وهو أحرى أن يحفظه لها ، فهو إذا أصغى إلى
هيرا مغادرها وتاركها ، فقالت همسا فى مهب الريح الذاهبة صوب
باريس : أعط التفاحة لمنيرفا . وهم باریس بأن يستجيب لصوت نفسه
ولنداء إينون الذى بلغ سمعه ، سرى أن أفروديتى ، إلهة الجمال
اعترضته قائلة : إنما التفاحة لى .

فنظر إليها باریس ، ولم يكن قد أنعم النظر فيها من قبل ، فرأى
فتنة لا عهد له بها ، وسجراً رائعا مشرقا من وجه فاتن ، وأحس بانه
يؤثر أن يستجيب لها ويفضل طاعتها .

فمن من الناس يقوى أن يقاوم إغراء الجمال وإن كان إغراؤه
مصحوبا بالمخاطر .

قالت : أما أنا .. فلا أمنيك بسلطان ولا أمنيك بحكمة ..
ولكنى أعدك بأن أجعل فى متناول يدك أجمل امرأة فى الوجود ،

فتخذها زوجها لك ، وتسكن إلى أليفة محببة . امرأة لها اشاراتى
وسماتى .. لها فتنتى وإغرائى .. هات التفاحة .
هنا لم يتردد باريس ، بل أسرع فناولها إياها مشدوها مأخوذاً
بجمالها . وما كاد يفعل ذلك حتى كانت الحورية إينون الوديعه تذرِف
الدمع سخينا ... فهذا إيدان بفرقة بينه وبينها .

(٣)

أختفت الإلاهات الثلاث بعد أن فازت أفروديتى (فينوس)
بالتفاحة الذهبية . وكانت إينون ماتزال واقفة على مقربة من
باريس ، وراء الخيمة . فتقدمت من باريس والدمع يرفض من عينيها ،
وقالت له :

— والآن ماذا أنت فاعل أى باريس ؟

فأجابها قائلاً :

— وهل تشكّين فى إتنى قاصد إلى أبوى ، وكاشف لها عن
حقيقتى بعد إذا علمتنى هيرا من أنا .
فقال إينون :

— هذا حسن . وهو شىء يسرنى ويسعدنى ولكنى أسألك
عما أردته بإعطائك التفاحة إلى أفروديتى .. أعنى عن رغبتك فى
أجل امرأة فى الوجود ، تلك التى وعدتك بها إلهة الجمال .

فقال :

آه . . . يوسفنى هذا . . . فما كنت أعز في الدنيا مخلوقا قدر
إعزازى لك . . . ولكنى لست أدرى ما أصابنى، فكانما كل شيء
قد استحال فى نفسى ، منذ أن شاهدت حيا الإلهة الساحر . وكأنما
بعثنى مرآها على التفكير فى معان من الجمال لا وجود لها فى عالمنا ،
وبت تائقا ، مشوقا إلى هذه المجهولة التى منتنى بها .

فقالت إينون :

أيها الغادر . لو أتى على من قبل أنك هذا الانسان المتغير
المتقلب ، لكنت جديرة بأن استكثر عليك ظهورى أمامك .
غير أنى مولية بغير رجعة ، وأراك غير خليق بكلمة وداع
أوجهها لك .

ثم مالبثت إينون أن يمت صوب أمواج البحر واختفت
فى الحال .

(٧)

أصبح باريس فريداً على جبل « إدا » ، لا يرى حواليه إلا
أغنامه وكلبه . . . ومع أنه كان فرحاً عامر الصدر بالأمل أزاء
وعد « فينوس » ، فقد أهتز قلبه قليلا واغتمت نفسه لدى اختفاء
إينون . ولكنه مالبث أن تناساها ، عندما لاحت بمخاطره صور

المستقبل السعيد ، الذى ينتظره إذا ما عاد إلى قصر أبيه بمدينة طرواده . فنهض يسوق أغنامه حتى آب إلى كوخ مربيه ، وأعلمه بما كان ، وبات يترقب أن توحى إليه أفروديني بما يفعل . فإذا كان الليل بعثت إليه حلما أبان عن الطريق التى يسلكها للوصول إلى أسرته . فلما انقضى الليل وامتع النهار ، قام من فوره فتجهز للرحيل . وودع مربيه الشيخ وداعا حاراً ، واتخذ طريقه إلى طرواده . . . وعندما بلغ قصر أبيه ، استأذن فى الدخول عليه ، فأذن له بذلك ، وحين مثل بين يديه أفضى إليه بحقيقه أمره ، ففرح أبوه ببقياه فرحاً عظيماً ، واستدعى أمه التى أخذته بين ذراعيها حين وقفت على الخبر . . . وأمر الملك والمملكة أن تقام الافراح والولائم ابتهاجاً بعودة ولدهما . . . ذلك أنهما منذ أمرا باستبعاده وليداً ، وعاشا محزونين آسفين على الاستجابة لحلم لعله كان خادعاً ، ولتفسير لعله كان كاذباً . . . وقد بدا لهما إذ ذاك ، ونديما على تفریطهما فى فلة كيديهما ، فأمرهما بالبحث عنه وأعادته . ولكن أعيا البحث رجال مملكته . لذلك اقترنت عودته بالبهجة ، وعمت لها فرحة فى أرجاء القصر ، تردد صداها فى أنحاء المملكة .

(٨)

وحين اعتاد باريس أبهة الإمارة وحياة الترف بالقصور ،

تغير تفكيره، وفتحت له ألوان جديدة من متع الحياة . ورأى في
السياحة خير شيء يستمتع به أمير لأبيه مثل مكانته . . ولعله كان
يقصد بالسياحة البحث عن فتاة أحلامه التي وعد بها ، أو لعل
أفروديتي أوحى بها إليه لتنبئه بغيته . فقام يعد العدة ويبتنى السفن
لهذا الغرض ، واستخدم في ذلك صانعا ماهرا يدعى « بركليس » ،
واستعان به وبإخوته في قطع أشجار الصنوبر المتكاثرة على جبال
« إدا » ، فآخذ منها هذه السفن .

وحين رأى تلقاه أسطولا عظيما طرب أشد الطرب واستأذن
أباه في الانطلاق به في عرض البحار .

وكان لباريس ، من بين أخوته ، أخ يدعى هيليناس ، وأخت تسمى
كاسندرا ، وكانا قادرين على استطلاع الغيب . وهذا علم عليهما إياه
أبولون ، أو ثوباس ، إله الشمس والموسيقى والشعر . فكشفاه بما سيكون
من وراء سياحته من خطوب ستتحقق ببلده إن هو أقدم عليها ، ونصحه
بالإقلاع عنها . . سوى أنه أعرض عن نصحهما ، وضرب به عرض
الآفق ، ورأى ألا يحرم نفسه من ركوب متن البحر وغارب الأمواج ،
والاستمتاع بالنظر إلى تموجات أمواجه ، حين تصطخب وتتعالى
حتى تبلغ عنان السماء ، ثم تهبط وتتداني حتى يصير لها استواء متغير
متحول ، والسفن بينها مترافقة متلاحبة شاقة سيليلها إلى أجواء

جديدة ، وئفور لم يرها ، يطيب للانسان أن يستطلع فيها أحوال عالم غير عالمه ، ووجوه غير وجوه أهله وذويه .

صح عزمه إذن على الإبحار ، فاستقل سفائنه ، وشق بها بحرا خضما حتى بلغ أرض بيلوبونيز بعد رحلة طويلة ممتعة فأرسي عليها ، ووطى " أرض الشاطىء " ، تاركا سفنه على ساحل لا كرنيا .

(٩)

بلغ منلياس ، ملك إسبرطه عاصمة لا كرنيا ، أن باريس ابن عاهل طروادة ، قد وفد إلى بلاده سائحا ، فرأى أن يستقبله ويحسن وفادته ، فخف إلى الشاطىء واستضافه بقصره . وهناك وقعت عين باريس على زوجة مضيفه « هيلين » ، فراحه جمالها ، وكأنما قد رأى في صورتها وملاحظتها أفروديتي من جديد .

وقال في نفسه « ما أشك في أن هذه موعودتي » . . . وهتف به هاتف أن تقرب إليها فملك حقا موعودتك . وكان ذلك وحى من قبل إلهة الجمال التى كانت جادة فى البر بوعدها . وإذا كان باريس قد قن بجمال هيلين ، وهو جمال لا يبارى ، فما تلك بأول مرة يفتن بها أمير ، فلطالما كانت قبلة أنظار ملوك اليونان قاطبة ، قبل أن تصبح زوجا لمنلياس . ولقد جاء زواجه منها نتيجة تعاهد بينهم على أن تختار زوجها إذا اشتد إلخافهم على طلب يدها من أيها

تندار اوس ملك إسبرطه من قبل . ثم طفق كل منهم يتوعدده ويتهدده إذا زفت إلى غيره .

فتحير تندار اوس في أمره . وأخيراً استضاف طالبي يدها جميعاً وقال لهم :

— أيها الأضياف الأخيار .. إني معجب بكم جميعاً ، وإذا خيرت في اختيار زوج منكم لأبنتي ، فإني بعضلني الاختيار . فلجميعكم من المزايا والخلال ما لا يملك معها الإنسان إلا أن يتمنى أن يكون زوج ابنته من بينكم . ولكن ما الحيلة وكلكم راغب فيها ؟ .. لذلك رأيت أن أجمعكم لتتفقوا فيما بينكم على أن يكون لها أن تختار منكم زوجها . فإذا اختارته ، عاهدتموه على أن تكونوا له ولها إخواناً وأخداًنا ، وأن تكونوا في عونته جميعاً إذا حاول أحد التفريق بينهما وبينه .

فتصايحوا : بلى أيها الشيخ الكريم . . . ذلك نعم الراى إذ ذاك أطلت عليهم هيلين بين تهليلهم وتصايحهم ، فاختارت منلياس . وكان أخوه أجمنون ملك مسينا قد تزوج بأختها الكبرى « كليتمسترا » من قبل . وتنازل تندار اوس لصهره عن ملك إسبرطه من بعد ، فتربع على عرشها ، وحكمها وزوجه هيلين . فليس من عجب وهذه قصتها أن يؤثر جمالها في باريس ،

ويذهب حتى أغوار نفسه . ولما كان هو نفسه جيلا وضاح
الجبين ، فقد وقع من نفسها ، وحرك وجدانها كذلك ، فإذا
هى مهيئة لطاعته ، واستقبال أى إشارة منه .

ولكنه لبث بالقصر أياما لا تواتيه فيها الفرص ، حتى
كان أن ارتحل منيلياس إلى «كريت» زيارة ملكها «إيدومينياس»
بدعوة منه . ولم ير من بأس فى أن يخلف باريس على قصره حتى
يعود إليه .. وقد كان أبعد الأشياء عن ذهنه أن تكون الإساءة
جزءا المعروف ، والخيانة جزءا الثقة .

وفى اليوم التالى لسفر منيلياس ، انطلقت هيلين إلى حديقة
القصر فى الصباح فأخذت تروح وتجيء فى مسالكها ومذاهبها ،
وهى تحتال عجبها بنفسها .

وكان اليوم من هذه الأيام التى تستهوى الأفئدة بجلالها
وجمالها . إذ كانت شمس الربيع تغمر السكون بأشعتها اللطيفة بنسمات
وديفة ، كانت تهب بين الأشجار ، فتسمع ما يشبه همس حبيب إلى
حبيب . . . ويوم هذا شأنه تنفتح فيه القلوب ، وتوق إلى المناجاة ،
كما تنفتح الوردة ، وتوق إلى أنداء الصباح .

وكان باريس فى غرفة الضيافة ، مطاما نافذتها على الحديقة ،
رجاء أن يمتع بصره بما تضيفه شمس الصباح على الأشجار من ألوان
زاهية بهيجة . فأبصر بهلين وهى تنهذى فى مشيتها ، فأحس هزة فى

نفسه ارتجفت لها أوصاله ، وناداه : هيلين .

فأجابت : باريش .

وما كان أعذبه صورتا ، ما أن سمعه حتى قفز من النافذة ، وأسرع إليها ، فكادت تستقبله بين ذراعيها ، لولا حياء كان ما يزال يعتمل بين جنديها .

ولكن باريش تناول يدها وثمها ثم قال :

— هيلين ... يا صاحبة المفاتن كلها ... أبوسع أحد من البشر ألا يسجد لجمالك .

فقالت : إنك تغالى ، وما أراى إلا امرأة ككل النساء .

فقال : هذا تواضع يزيدك جمالا على جمال . ولكنى أحب أن أتكلم جادا ، وألا أضيع الوقت إلا فيما يجدى . أفما ترين أن كلينا قد خلق الآخر ... لقد أمضيت العمر خالى القلب ، أحن إلى صورة من مبتدعات الخيال ، فإذا هى اليوم حقيقة من مبتدعات الواقع ، وإذا أحلامى تلتقى عند طاعتك ، وإذا أنت مرجوى ومتمنأ . فهل أنا واجد فى قلبك صدى ولو خافتا لما فى قلبى ؟

وكاد حياء النساء يغلب عليها ، فيعقل لسانها عن الجواب ، لولا أن دفعها دافع أشبه بإلهام من الآلهة ، حثها على الجواب فقالت :

— ما أرانى مختلفة عنك . ولعل ما يـ يزيد على ما بك . إن
 حياقي في هذا القصر ، ينقصها أهم عنصر في الحياة ، ليلونها بأريج
 الألوان ، ألا وهو الحب ؛ فما أحسست يوما بحب لزوجي ، وما عايشته
 وشاطرته الحياة إلا بقوة العادة . وقد جاء اختياري له زوجا ،
 لأنني وجدته أفضل من تقدم لزوجي . أما المخلوق الذي يهز أوتار
 قلبي ، ويحرك مشاعري ، فما كنت أحسبني مصادفته حتى رأيتك .
 فإذا أنت حبيب ، وغاية ما أصبو إليه في الحياة . فقال باريس :
 — هلم إذن ، يا حبيبتي ، فلنغادر القصر ، ولنسابق الريح ،
 حتى نختمي بطروادة .

(١٠)

كانت هيرا ، كبيرة الآلهة ، بقصرها بالأولمب ، تطل على
 باريس ، حين أغرى هيلين باللباق به إلى مملكة أبيه . فشاهدت
 كل ما حدث ، ووعت كل ما قيل . وكانت ، برغم انقضاء عهد
 طويل على حادث التفاحة ، ما تزال تذكر تفضيله لأفروديتي عليها
 وعلى ربة الحكمة .

وقد ترك ذلك في نفسها أثرا لا يمحي ، وجعلها تحقد عليه ،
 وتترصد به الفرص . بل لقد كرهت من أجله أسرته ، وكل من
 يمت إليه بسبب . فلما بدرت منه هذه الهفوة ، رأت أن تتخذها

ذريعة إلى تأليب ملوك اليونان عليه وعلى أبيه ... وسرعان ما بعثت
إريس «رسولة الآلهة» إلى منلياس ، تنبئه بما حدث ، بعد أن
لقنتها كل ما علمت . فاستقبلت الرسولة جناحيها ، وأقلعت على متن
الهواء ، حتى بلغت «كريت» ، حيث كان منلياس ضيقاً على
ملكها ، فأبلغته ما نزل به من مكروه . فأسرع منلياس في العودة
إلى وطنه ، فإذا قصره خال من زوجته ، فأيقن بصحة ما بلغه . بل
وجد كذلك ، أن الآثمين قد حملا من القصر ما خف وغلا ثمنه .
فاكتأب وحزن حزناً شديداً ، وجعل يستعرض في ذاكرته الأيام
التي قضاهها مع هيلين على سعادة ، وهناءة ، فجزع ، وكاد يهلك أسي
وغماً . واشتد حنينه إلى رؤيتها ، تعمّر أركان قصره ، بمفاتنها من
جديد . غير أنه عند ما فكر في غدرها ، ثارت ثأثرته ، ورآها غير
جديرة بإعزازة ، واستشعر الرغبة في الأخذ بالثأر منها ومن
غاويها . ثم عاد فأحس بالضعف ، ووجد أن لا غناء له عنها ، وأن
لا طاقة له بالعيش بدونها . فعلم النفس باستعادتها من باريس
بالحسنى . وإذا فكر في ملاحتها وفتنتها ، أيقن أن ذلك متعذر . فما
يسهل على الإنسان ، أن يفرط في غادة جميلة ، قد لاذت به ، وآثرته
على غيره ، حتى على زوجها .

ولمّا إذن فلانماص من الحرب ، ولا مندوحة من مهاجمة طروادة ،

حتى يتسنى له استعادتها مرغمة ، بعد إرغام خاطفها .
وما أن رأى منلياس أن الحرب هي التي ستكون فاصلا بينه وبين
باريس ، حتى عزم على أن يستمعين بأخيه أجمنون ملك مسينا ،
وأعظم ملوك اليونان قاطبة . فاستقل إليه مركبة حربية ، وهناك
وجده بقصره يتحدث مع نستور ملك ييلوس . وهو شيخ طاعن في
السن ، ولكنه كان ما يزال فتي الروح ، متحمسا ، فقص منلياس
عليهما قصته ، وسألها النصيحة ، فقال نستور :

— ما باليونان أحكم من «بلاميدس» . ومن رأى أن أقصده
فأستشير في الأمر .

فقال أجمنون : إذن فاذهب إليه من فورك ، فما يجب أن
نتوانى في استطلاع رأيه . ونحن بدورنا ماران على ملوك اليونان
جميعا ، لتذكيرهم بما عاهدوا أخى عليه ، يوم اختارته هيلين من بينهم .

(١١)

وإذا كانت هيرا قد عنيت بالأمر ، فقد رأت أن عليها واجبا
آخر ، فاستدعت منيرفا ، وقالت لها :

— أحسبك ما زلت تذكرين سفاهة هذا الراعى ، الذى آثر
أفروديتي على وعليك ، واختصها دوننا بالتفاحة الذهبية ، فجعلها
تزهو علينا بجحالها ، وتتطاول علينا بفخارها .

فأجابت ربة الحكمة قائلة :

— أجل .. يا كبيرة الآلهة .

فقالت هيرا :

— وأظنك قد تأملت لذلك طويلا ، وأن بنفسك حاجة إلى
الآخذ بالتأثر .

فأجابت ربة الحكمة مرة أخرى :

— أجل .. يا كبيرة الآلهة .

— إذن فقد حان الحين لأن نسعف النفس بحاجتها ..

هلم فاذهبي إلى من تستطيعين الذهاب إليهم من ملوك اليونان ،
فأعدى نفوسهم لتلبية نداء أجمنون ومنيلياس . وسأعني من
ناحيتي بأن أفعل فعلك . . عسانا نشعل نار حرب ، تحصد الزرع
والضرع ، وتأكل الأخضر واليابس ، وتأتي على ملك طروادة ،
حتى تصير خرابا يبابا .

(١٢)

إذ ذاك جهدت الإلاهتان ، كل من ناحيتها ، في استفزاز قلوب
أمراء اليونان . واتفقت جموعهم على الاجتماع عند أوليس على
ساحل البحر ، فوفدوا إليها بسفائتهم ورجالهم . وفوضوا أمر
القيادة العامة إلى أجمنون . وأجمعوا على مهاجمة طروادة ،

وافتحاها ، والتنكيل بأهلها ، واستعادته هيلين . وكان أن وقعت
عين أجممنون على الجموع الزاخرة ، وهى محتشدة ، مائجة ، أشبه
حالا بالسكرانكى ، والبجع البرى ، إذ يحتشد فى المراعى المترامية على
جانبى نهر « كايستر » ، ضاربا بمخناحيه الهواء ، ضربا يرجع السهل
صداه . . . أو أشبه حالا بالذباب ، إذ يزدحم حول الأبقار فى
محالبها فى صباح يوم من أيام الصيف . حيثئذ شعر بالسكبرياء
تملا قلبه .

وكان قادة الجيش يتوسطونه ، كل يقود أتباعه ، مثلما يكون من
الرعاة ، عند اجتماعهم فى مرعى واحد ، حين يفصلون كل قطيع عن
الآخر ، بينما أجممنون يراقبهم مختالا فخورا ، كشور مائل بين
صغار البقر .

(١٣)

وكيف لا يختال أجممنون عجباً . وقد كان هناك ، غير أخيه
مندياس ، « ديو ميدس » سيد أرجوس ، ونستور الشيخ ملك بيلوس
الذى كان قد ذهب إلى « پلاميدس » لاستشارته ، فأشار بالحرب ،
وأيدو ميناس ملك كريت . كما كان هناك أيضا أودسيوس ملك
إيماك ، وأيباس الصغير ، وأيباس الكبير ، وكذلك أخيل بن
بليوس . وهو ثمرة هذا الزواج الذى كان فاتحة الخلاف بين

الإلاهات الثلاث . وغير هؤلاء كثيرون من ملوك اليونان
يقودون عشائرهم .

ولاودسيوس قصة طريفة . فلقد كان ملكا مشهورا بالدهاء
والذكاء . ولم يرقه في بادئ الرأي ، أن يترك زوجته بنيلوب ليعبر
البحار ، ويتعرض للمخاطر ، ويساهم في حرب طروادة . وقد كان
قريب عهد بالزواج منها . فتصنع الجنون ، وأخذ يحرق رمال
الساحل بزوجين من الثيران ، رجاء أن ينصرف أجمعون عن طلب
معونته ، وإشراكه في الحرب . غير أن بلاميدس كان أكثر دهاء
منه ، فتناول طفله « تليماك » ، ووضع أمام المحرث . فتوقف
أودسيوس عن الاستمرار في الحرث ، خشية على حياة ولده . فكان
هذا دليلا على صحة عقله ، ومن ثم اضطر إلى اللحاق بالجيش عند
أوليس .

ومن العجب إنه أصبح ، بعد ذلك ، أكثر ملوك اليونان
تحمسا لهذه الحرب . حتى لقد ساهم بعد ذلك ، في العمل على
اجتذاب آخيل إلى خوض غمارها . وقد كانت أمه تيتيس ،
إلهة البحر ، راغبة عن ذلك ، لأنها كانت تعلم ، أن ربات
الأقدار قد يمت الموت لولدها في غصارة الشباب ، مقرونا بالمجد
إذا دخل هذه الحرب ، وادخرت له حياة طويلة خاملة إذا انصرف
عنها . وقد آثرت ذلك ، فأبت عليه أن يبحر مع اليونان إلى طروادة ،

وبعثت به إلى ليسكوميدس ملك جزيرة سكروس ليتواري عنده .
 فلما نزل بقصره ألبسه ثياب إحدى بناته ، لتنصرف عنه الأبصار
 ويتعذرا الاستدلال عليه . فلبث يذنبهن سعيداً بصحبتهن ، وقد علق قلبه
 بأحدهن ، وتسمى « ديداميا » ... ونسى من أجلها كل ما يمت إلى
 الحرب بسبب . ولو قد أتيح له أن يظل بهذه الجزيرة أبداً ، لوجد
 في القرب منها غناء عن المجد والفخار . ولكن أوديسيوس تزيابزي
 التجار ، ووفد إلى القصر ، ليعرض بضائعه على الأميرات . وفيما
 كن معنيات باستعراض القلائد ، والأقراط المطعمة بكرائم الدر ،
 والنسيج الموشى بالذهب والفضة ، وغير ذلك ، بما كان يحمل معه ،
 كان آخيل يرغم زيه الأثوى مأخوذاً بدرع بديع ، كان أوديسيوس
 قد دسه بين بضائعه . ففطن إلى أمره وأقنعه بوجوب العدول عن
 خطته والمساهمة في الحرب تخف إلى أو ليس يقتادره طه من المرميدين .

(١٤)

عندما أحترش ملوك اليونان عند أو ليس بجيوش جرارة ،
 ألقوا على ظهور السفن قاصدين طروادة . سوى أنهم ضلوا الطريق
 في مبتدأ الأمر . وألقت السفن مراسيها على أرض « ثيرايا » ،
 ثم اضطروا عقب ذلك إلى العودة إلى هيلاس فاشلين . وكان مرجع
 هذا الفشل ، هو خيلاء أجمنون ، وزهوه ، وإغضابة الإلهة

أرتميس بغطرسته وكبريائه . فهو حين شاهد الجوع والحشود
التي تأتمر بإمرته ، ظن أنه قد أصبح من الحول والطول بما يجعله
في مصاف الآلهة ، وبما يخول له أن ينزهك حرمة غاب مقدس ،
يحف بمعبد « أرتميس » ، فسمح لنفسه بأن يصطاد فيه . وكانت
ظباء هذا الغاب وغزلانه عزيزة على هذه الإلاهة ، فلما رمى أجمنون
واحداً منها بنشابة ، غضبت أرتميس غضباً شديداً ، وبعثت رجلاً
شمالية شرقية ، فعاقت الأسطول عن الإبحار . وكان لليونان كاهن
يدعى « كلكاس » كان ماهراً في استشفاف الغيب ، فسأله عن بواعث
فشلهم ، فصارحهم به ، وأكد لهم أن التوفيق لن يكون حليفهم ،
مالم يكسفر أجمنون عن ذنبه ... إذ ذاك قال أجمنون للكاهن :
— وماذا في مقدوري أن أفعل لا أكفر عن ذنبي ، وأزيل
غضب أرتميس .

فقال كلكاس :

— إن استرضاءها رهن بتضحية غالية تعز عليك . وما أراها
تبتغي عنها بدىلاً . كما لا أرى أن بوسعك النزول على مشيئتها .

فقال أجمنون :

— مهما جشمتني لإرضائها ، فأنا فاعل ؛ فبادرنى بالتصريح عن
إرادتها . فقال كلكاس :

— يشق على ، أن أحيطك علما ، بأن الإلاهة لن ترضى بغير «ابنتك» إيفيجينيا قربانا تضحي به على مذبح معبدها . إذ ذاك اضطرب أجهمنون أيما اضطراب ، ووجد أن الأمر عسير حقا ، وكيف يضحي بابنته ، وهي بهجة بيته ، وزينة حياته . وأحجم عن ترضية أرتيمس ، مؤثرا ألا ييسر الأسطول ، ولو أنه كان في الوقت نفسه حريصا على محاربة طروادة .

وقد ظل الأسطول وقتا طويلا معطلا عن الإبحار إلى أن نفذ صبر حلفائه ، واضطروه إلى أن يرضى بتضحية ابنته . فبعث أوديسيوس مسكرها إلى مسينا ، ليحتال في استدعائها إلى أوليس ، لتنفيذ مشيئة أرتيمس .

(١٥)

بلغ أوديسيوس قصر أجهمنون ، وهناك التقى بزوجته كليتمسترا ، فقالت له :

— لعل إقبالك علينا خير ، يا مملك إيساكا .
فقال أوديسيوس ، وقد رأى أن اصطناع الدهاء أدعى لنجاحه :
— أجل لمحض الخير . فقد عن لأجهمنون أن يزوج إيفيجينيا من آخيل . وهو كما تعلمين أكبر أبطال اليونان ، شجاعة وقوة واقتدارا .
فقالت كليتمسترا :

هذا أمر تطيب له نفسى . . . وأين يريد أجهمنون أن يعقد
هذا الزواج ؟

فأجاب أوديسيوس :

— إنما يريد أجهمنون ، أن يعقد هذا الزواج بأوليس ، على مشهد
من ملوك « هيلاس » وأمراتها جميعها . إذ ذاك استدعت كليتمهنسترا
ابنتها إفيجينيا ، وأمرتها بالتهيو للسفر .

(١٦)

عاد أوديسيوس إلى أوليس ، وبصحبه الملسكة ، والأميرة ،
وأخوها الصغير أوزستس . وهناك ظهر أن استدعاء إفيجينيا لم
يكن للزواج ، وإنما كان للموت .
فتقدمت الأم إلى أخيل ، وأظهرته على الخدعة التى تسليح بها
أوديسيوس حتى أقنعها بإحضار ابنتها إلى أوليس ، ورجته أن يعمل
جاهدا على تخليصها ، فسمي فى ذلك ، سوى أن رأى المجموع كان
أعظم من سعيه . إذ ذاك لم تجد إفيجينيا بدا من الخضوع .
تقدمت المسكينة وسط الجموع التى إحتشدت للاحتفال بالتضحية
بها . فقرأت فى وجوه الزعماء والقادة أن الأمر جد لاهزل ،
والتفتت فإذا أبوها موله حزين ، يسكب الدمع وهو واقف
لاحرك به . إذ ذاك استشففت أن لا منجاة لها ، ورأت أن تصطنع

الشجاعه ، فشمخت برأسها ، وتقدمت إلى المذبح في خطوات ثابتة ، ثم قدمت عنقها للسلاح .

وكانما قد أحيطت بهالة من نور ، وأشرقت لها فتنة عشت الألبار وإذا بأرتميس — إلهة الصيد — وقد أعجبت بشجاعتها ، تختطفها في سحابة ، وتنجيها من الموت . واستجابت لرجاء الجيش فيسرت طريقه إلى طروادة .

ثم اتخذت من إيفيجينيا ، من بعد ، كاهنة لمعبدها ، فعمرت به عمراً طويلاً .

(١٧)

أبحر الأسطول بعد التضحية بإيفيجينيا ، ميمما شطر جزيرة « تينيدوس » التي تقع على الساحل الطروادي ، وهناك انعقد الرأي على أن يبعث الإغريق بمبعوثين إلى طروادة ، ليفاوضوا أهلها في استرجاع هيلين ، والمال المسروق ، وإلا كانت الحرب . وتشاورا فيمن يبعثون فوق اختيارهم على منلياس وأودسيوس ، لأن الأول هو الذي أودى باختطافها والثاني أرشد الإغريق وأكثرهم دهاء وفصاحة .

فلما اختيرا ، لم يتمهلا في الذهاب إلى طروادة ، وبلغاها بعد قليل . وهناك استقبلهما أمير طروادى يدعى « أنتينور » ، ورحب بهما ، وأكرم وفادتهما ، وتوسط بينهما وبين الملك بريام الذى رأى

أن يستشار الشعب ، عطاؤه ودهماؤه ، في رد هيلين ، ورد الغنيمة .
وأمر أنتينور بأن يعقد مجلسا شعبيا أمام القصر للتشاور ، وسماع
كلمة الوافدين .

ولما كان الصباح ، جمع أنتينور حاشية الملك وأهل مملكته ،
وأشار على منلياس وأودسيوس بعرض قضيتهما على الملأ ، فنهض
منلياس ثم قال :

— يا أهل طروادة . . أنا منلياس ملك إسبرطة ، قد استقبلت
أميركم « باريس » ، ورحبت به ترحيبا عنيفا به أن أربط ما بينكم
وبين شعبي بروابط الصداقة . فكان جزائي أن انتهكت حرمة بيتي ،
واختطف ربة ، وهى عزيزة على . فكان ذلك من باريس شر
ما لقيت من جحود ونكران للجميل . وقد ساء ذلك رهطى
وحلفائى ، فأجمعوا على محاربتكم . وجاءوا اليوم فى حشد عظيم ،
وهم مصرون على الحرب . ولكنى ، ومازلت حريصا على مودتكم ،
قد آثرت أن أسعى فى استرداد زوجتى بطريق ودى ، فحئت اليوم
أسألكم إياها . فإذا أجبتكم سؤلى ، عدت أدراجى من حيث أتيت ،
وكان شيئا مما حدث لم يكن . ولا يعقبكم هذا إلا الابقاء على
صداقتنا ، كما أنى مبق على صداقتكم .

عند ذاك تعالت صيحات الاستحسان من كل جانب ، وهتف الشعب برد هيلين . فسامع باريس هذا الهتاف ، وكان يقصره بعيدا عن الجميع ، أقبل بجلان يصاحبه صغار أخوته . ثم اعتلى شرفا بين رهطه وقال :

— أراكم تهفون بما يظهرني بمظهر العادي الآثم . وما دريتم أني حينما جئت بهلين إلى هنا ، إنما كنت منقادا لمشية إلهية . وهذا رجل تمقته امرأته ، ومن الإثم إرادتها على معاشرته كرها . وأحرى بأن يقتضيكم الولاء لي ولعرش أبي ألا يكون هتافكم لغريب . وفي الحياة من الأسرار ما يجعل الحكم بظواهر الأشياء حكما خادعا . وما يجب أن تحكموا الظواهر في أمري وأمر منلياس .

هنا قام أنقيسور ، وقال :

— أي باريس . . . ما جاءنا منلياس إلا في إهاب صديق ، وما يليق بنا رده خائبا ، مهما كانت الحوافز التي حفزتكم على الإتيان بزوجه إلى ههنا ، سواء أصبح ما تدعيه من تأثير الآلهة عليكم ، أم لم يصح .

فقال باريس :

— لو كان يقصدنا كصديق ، لما رأينا وراه هذا الأسطول

العظيم ، الذي يرسو على الشاطئ ، والذي وقعت عيني عليه من أسوار طروادة . ومن يدري بنا بأنه مسترد هيلين ، ثم منصرف عنا بعد ذلك ؟ ألا إن ما ترون من توسلاته ، إنما هو خدعة المخادع الماكر . فلا تحسبنه ناسيا ما وترته به . فما يلبث بعد استرداد هيلين أن يعود إلينا في إهاب عدو .

إذ ذاك تعالت أصوات كثيرة تؤيد باريس فيما ذهب إليه ، فنهض أوديسيوس ، وحاول أن يقنع الطرواديين بأنه لا صحة لما يساور باريس من شكوك وقال :

— نحن وإن كنا جئنا في حشد حاشد وبجيوش جرارة ما زلنا حريصين على صداقتكم . ولذلك رأينا أن نقدم سياسة اللين والتفاهم على كل شيء ، حتى إذا لم تجد ، كانت الحرب . ولسكنا نحب أن نعلمكم إنا معشر اليونان حتى هذه اللحظة ، ما زال أصدقاء لكم ، على شريطة أن ترد هيلين إلى زوجها ، وتعاد الغنيمة التي أخذت معها .

فقال باريس :

— أيهذا المتكلم . . . عبتا تحاول أن تدخل في روعنا غير ما يقتضيه منطق الحوادث . أنتم تعدونني عاديا ، لهذا جئتم إلينا بأسطول ضخم ، يحمل جنوداً وبنوداً لاتعد ولا تحصر . ولو أردتم

المسألة ، لكان وفودك علينا مع صاحبك خاليا من مظاهر التهديد التي نستطلعها في حشد الحشود والتأهب للحرب . أما وقد أخذتم للحرب عدتها ، فقد أصبحت الحرب هي التي تفصل بيننا .
فإليكما عنا وإلا كان لنا معكما شأن آخر .

فقال منلياس :

— أيها الخائن المتوقع . . . ما انتظرنا منك إلا أن يكون ذلك هو استقبالك لنا . ولسكننا جئنا طامعين في كرم من هم أسن منك وأحكم وأعدل . ونحن إذ نتوجه بطلب هيلين إلى أحد ، فإنما نتوجه إليهم بذلك .

عندما سمع باريس هذه الإهانة ثارت ثائرتة ، وحاول أن يفتك بمنلياس ، وكان أعزل ، فاعترضه أودسيوس . إلا أن أخوة باريس الذين صاحبوه أمسكوا بأودسيوس ، وشهروا سيوفهم في وجهه ، وكادوا جميعا أن يوردوا المبعوثين موارد الحتف ، لولا أن تدخل أتينور والمسنون من حاشية الملك في الأمر ، وردوا باريس إلى الاعتدال .

ولسكن منلياس وأودسيوس لم يرضهما هذا الاعتداء ، واضطرا إلى العودة إلى رهطهما بتينيدوس ، وقصا على الإغريق ما حدث فعقدوا العزم على الحرب .

ولم يتكاسل الطرواديون في الاستعداد للأمر بعد إذ علموا
 بالحشد الهائل الذي احتشد لمحاربتهم ، وسألوا محالفهم معاوتهم
 وشدد أزهرم ، فاجتمع لهم مجموعة كبيرة من الأبطال لا تقل عن
 أبطال الإغريق ، قوة واقتدارا ، فكان هناك غير هكتور ،
 أكبر أبناء بريام الذي أسندت إليه القيادة ، ابن عمه إنياس بن
 أنشيز من الإلهة أفروديتي ، وقد جاء يقود أهل مدينة درداقيا ،
 ثم بنداروس ، وأيسياس ، وسيسناس ، وسار بيدون ، وغيرهم
 ممن عز عليهم أن تهاجم مدينة طراودة ، وأحبوا الدفاع عنها بأتباعهم
 ورجالهم .

(١٨)

عند ما هبط الإغريق إلى أرض الشاطئ ، وجدوا الطرواديين
 متأهبين لقتالهم . وما كاد «بروتسيلوس» ، أحد قادة اليونان ، يطلأ
 الساحل الطروادى ، حتى رماه هكتور برمح فأرداه . ولكن
 ذلك لم يثبط اليونان ، فتزاحوا إلى الشاطئ بغية الاشتباك في قتال
 مع أهل طراودة ، فأظهر هكتور ، وسيسناس بن بوزيدون إله
 البحر ، براعة فائقة ، وأعمالا السيف في اليونان .
 وفي هذه الأثناء ، أقبل آخيل يقتاد عربته ، باحثا عن عدو
 جدير بلقائه ، فشاهد سيسناس ، وهو يفتك بجميع من حوله ،

فهاجمه في الحال ، ثم رماه برمح في صدره ، فارتد الرمح دون أن يصيب سيسناس الذي أخذ يضحك ملء شديقه ، ويسخر من خصمه ثم قذفه برمحه ، فاخترق درعه النحاسي ، وبلغ بطانته الداخلية ، فجن جنون آخيل ، ورماه مرة بعد مرة ، دون أن يصيبه بجراح فأدهشه الأمر ، وتفحص رمح ، فما وجد به نقصا ، فرمى به أحد أعدائه ، فأصاب منه مقتلا ، وخر صريعا على الأرض .

وما لبث أن سحب آخيل سلاحه من صدره ، ثم قال :
— ما تغيرت يدي ولا سلاحى .. فلماذا لا أستطيع قتل ذلك الرجل .

ثم جرب مرة أخرى أن يصيب سيسناس ، فارتد سلاحه كأنما قذف به حائطا . ولكنه ترك أثرا من الدماء حيث كانت ضربته ، فظن آخيل أخيرا أنه قد ظفر بعدوه . ولكنه ما عزم أن أدرك خطأ ظنه ، حين رآه حيا يحاول مهاجمته ، فطرح رمحه وسحب سيفه واندفع حائقا مغيظا نحو سيسناس ، فتقهقر هذا الأخير إلى الوراء ، فعثر بحجر كان خلفه ، فسقط على الأرض ، فانقض عليه آخيل ونزع خوذته وقبض على عنقه بيديه حتى تعطلت أنفاسه . حينذاك أشفق بوزيدون إله البحر على سيسناس ، وهو ولده ، فعمل على اختطافه قبل أن يمثل به آخيل . فلما ظن آخيل أن

سيسناس ، قد فارق الحياة ، ونهض يريد نزع عدته الحربية عنه ،
شاهده يستحيل إلى صورة بجعة لجناحها خفق وتصفيق ، قد
استقبلت جناحها في قبة السماء الزرقاء ، آخذة سمتها نحو البحر .

فتناول أخيل رمحاً ، وأسرع إلى الجانب الآخر من ميدان
القتال ، حيث كان هكتور وإخوته منهمكين في الحرب . ففاجأ
تروالوس ، أصغر أبناء بريام وأجملهم ، فقتله . وأخذ يعمل
حسامه في رقاب الطرواديين ، حتى اضطرهم إلى الاحتماء بأسوار
طروادة . ولما كان يبدو أن الحصار سيستغرق زمناً طويلاً ،
الإغريق خندقاً وابتنوا سورا يصلون منه إلى سفنهم ومعسكراتهم ،
بواسطة خمسة أبواب ، وفي هذه الأثناء استولى أخيل على طيبة
بلدة «إيتون» ، والد أندروماك زوجة هكتور ، وفتح «ليرناس»
حيث استبي منها سبية جميلة تدعى بريسيس ، اتخذها زوجاً له .
واستبي منها أجممنون سبية أخرى تدعى كرسيسيس ، وهي ابنة
كريسيس كاهن أبولون . فلما تسمع أبوها بالخبر ، التمس طريقه
إلى معسكر اليونان ، وسأل المثلوث بين يدي أجممنون ، فأذن له
بذلك ، بعد أن رفض استقباله في أول الأمر . فلما صار في محضر
القائد الأكبر قال :

— مولاي . . . استيتت ابنتي ، وباعدت بيني وبينها ، وأ.

شيخ فان ، مرعش ، أشد ما أكون حاجة إليها . وقد جئتكم طامعا في كرمك ، لعلني بأن مكان الآلهة في قلبك مكان كبير . وأنا يا مولاي خادمهم ، وكاهن إله النور « أبولون » . فأنا حقيق بأن أظفر ببعض ترضيتك . فهل لك يا مولاي أن ترد علي ابنتي . فقال أجمعنون :

— أيها المتجريء على بمثل هذا المقال . . . كيف تتوهم أن في مقدوري أن أعيد إليك ابنتك ، وقد أصبحت أعزها وأرى مكانتها تتداني من مكانة زوجتي كليتمسترا ، وقد عقدت العزم على ضمها إلى جوارى حين الأوبة إلى وطني أرجوس ؟

— ليس من حقك ، يا مملك أرجوس ، أن تحرم كاهن أبولون من ابنته ، إذا كنت تقدس الآلهة حقا . هذا فضلا عن دواعي الإنسانية التي تقتضيك أن ترعى للشيخوخة حقوقها . . . وهاأنذا قد جئت إليك ، والسمنون تثقل كاهلي ، والشيب مشتعل في الرأس ، أستجديك ما يليق لإسداؤه من معروف إلى شيخ مثلي .

— أيها الكاهن . . . إنك تسأل شططا ، وتنسى أشياء كثيرة لا يحسها قلبك البارد . تنسى أنني محب لابنتك . وهذا ييان كاف أردك به عن بابي .

— وأنت تنسى أنه في مقدورك أن تستعيض عن حب ابنتي

بكثير مما سيتبها لك أخذه من السبايا ، على حين لا أستطيع أن
أستعيز عن ابنتي بفتاه سواها . . . أتوسل إليك أن تردني
مصحوبا بها .

— لقد ضقت بك ذرعا . . . أعزب عني أيها الكاهن ، وإلا
قتلتك شر قتلة . بل أقسم بجوبتر ، رب الآلهة ، إنى إذا رأيتك
مستأنيا أمام بابى ، لأعاجلته بضربة تورذك موارد الحنف . . سر
ولا تعد على مسامعى توسلاتك التى أصبحت أبغضها بمقدار
حبى لابنتك .

إذ ذاك لم يجد الكاهن مندوحة عن المسير ، فسار مطأطئ الرأس ،
دامع العين ، واجف القلب . فإذا ابتعد عن معسكر اليونان ،
وأصبح تلقاء شاطئ البحر ، رفع يديه إلى السماء متضرعا إلى أبولون
أن يشار له .

وبلغت توسلات الكاهن إلى « إله النور » ، فاستشاط غضبا ،
وعز عليه اعتداء أجمنون على ابنة كاهنه ، ورده كسيفا محزونا ؛
فأعلنها حربا على اليونان لا هوادة فيها ولا لين . فإذا السماء ، وقد
تراكت بها السحب السوداء ، تمطر جيش اليونان وابلا من السهام
دون انقطاع ، فقتلت منهم جندا كثيرا ، وأشاعت الفزع فى قلوبهم .
وزاد الطين بله تفشى الطاعون فيهم . فما مضت تسعة أيام إلا

وأهلكت السهام والطاعون عدداً لا يحصى ، وكادت تأتي على جمعهم كله ، وأخذ القادة والرؤساء يفكرون في إعداد العدة للرحيل عن طروادة ، لولا أن عز على آخيل أن يهوى اليونان بالفشل والخسار . فاستدعى كاهنهم كلكاس ، وسأله على ملأ من الجند بمحضر من أجمنون أن يدلى بما يعرف من أسباب هذا الغضب الذى يصادفونه فى هذه الحرب التى تعلنها عليهم السماء ، فقال كلكاس :

— ليس بوسعى أن أصارحك بالحقيقة ، يا آخيل ، إلا إذا وعدت بحمايتى . فما أشك فى أن مقالى سيعغضب ملكا عظيما من ملوك الحملة ، لا يوقننى غضبه إلا حمايتك . فقال آخيل بلا تريث :

— أنت فى حمايتى ما صرحت بما عندك ، حتى وإن أغضب تصريحك أجمنون نفسه .

— إذن فاعلم أن أبولون غاضب منا ، لأن مولانا أجمنون قد أهان كاهنه كريسيس ، وردّه با كيا مستعبدا بغير ابنته .

وقد صح عزم هذا الإله على محاربتنا ، والخيولة بيننا وبين النجاح فى حملتنا ، ما لم ترد هذه السبية مكرمة معززة إلى أيها بغير فدية . . . فضلا عن قربان يقربه أجمنون إليه من الثيران السمينة . ما كاد أجمنون يسمع هذا التصريح حتى وقف مهتاجا ، صاخبا ، يكيل السباب إلى الكاهن ، ثم قال :

— يا كاهن النعس ... أبدأ ما أسمعني شيئاً يبهج صدري ،
وما تنبأت عن شيء إلا أساء إليّ ، وأصاب بهجتي في الصميم ؛ وما
العهد بتضحية ابنتي ببعيد . واليوم تصوب طعنة جديدة إلى قلبي .
ولكن لا أرى لك ذنباً فيما تكشف عنه . فما أنت إلا متنبئ
بأشياء تريدها الآلهة .

ثم التفت أجمنون إلى اليونان وإلى آخيل ، وقال :
— حسنا ... سأنزل عن جاريتي ، وسأصدر أمراً بردها إلى
أبيها . ولكن كيف يجوز وأنا رئيسكم أن أبوء من الحرب بغير
مكافأة أو جزاء . لقد نال أكثركم نصيبه في أسلاب الحرب ،
وأصبح لكل قائد سبية ترد عنه السامة والملل ، وتؤنس وحدته
إذا آوى إلى خيمته . ولكن أنا ... أیصح أن أحرم من جاريتي ،
ولا أعرض عنها بجزاء أخرى ؟

فأجاب آخيل :
— من أين يعوضك اليونان عن جاريتك ، وقدوزعت السبايا
وما نستطيع أن نسأل أصحابها إعادتها . ولكننا نسألك أن تصبر حتى
تفتح طروادة ، فتجعل نصيبك خير نصيب ، بل قد نضاعف لك
ما أنت جدير به من جزاء .
فقال أجمنون غاضباً :

— ما أراك إلا مسرفاً في خدع نفسك ؛ يا أخيل . ومتى كنت تحسبني أرضى بهذا الحكم الذي يجعلني ، في الوقت الراهن ، أقل لكم مكافأة ؟ ... لا ... لا ... سأرد كرسيس ، حسنا ، لأن صالح جيشي شيء أضعه نصب عيني . ولكنني مستعيض عنها بفتاتك ، أو بما أصاب أوديسيوس ، أو إياس من جزاء .

عنداك شاع الغضب في صدر أخيل ، ولم يستطع أن يتمالك نفسه فقال :

— يا للمسفاهة والخسة ... كيف تبعدنا مثل هذا الرجل الذي يعلم أنا جميعا ، لأشأن لنا بهذه الحرب ، وأنا ما اشتركنا فيها إلا إكراماً له ولأخيه ، وهو مع ذلك يضمن علينا بأن يكون لنا جزاء ما صنعت أيدينا ؟ .

أو ما تعرف ، أيها ، أن ثقل الحرب وأخطارها تقع على كاهلي حين تستعر ، وحين لا أراك إلا متوارياً لا تجترئ على النزال والطعان والمساولة . ولكن يبدو أنك لن تعرف قيمتي إلا إذا هجرت الحرب ، وعدت إلى وطني ، فقال أجمنون حانقا :

— هلم فاذهب واهجر الحرب ، إذا أردت ... أو ظننت أنني مستجديك البقاء ؟ ... كلا .. إن بين اليونان من الأبطال من يوقرنى ، ويوفيني حق من الاحترام أكثر مما تفعل . وما أراك

إلا مصدر خلاف على الدوام . اذهب فما يهمنى غضبك ، وخيرك
أن تتجنب معاوتنا على أن تبقى هنا موضعاً لازدرائي واحتقاري ،
وإن تكن الآلهة قد حبتك بقوة جديرة بالاعتبار .

ولكن لا يجب أن يعزب عنك إنني أوازيك في القوة إن لم
أزد عنك ، وبين رجال من لا يقل عن المرميدين (التسالين)
رجالك الذين لا تفتأ تباهى بمهارتهم واعتيادهم خوض القتال .
وأحسبك تؤثر أن تزهى بولايك عليهم على أن تعمل بمعاوتهم
عملاً يوليئك المجد والفخار حقاً . هيا . . اعزب عني ، —
أيها المدلّ بنفسك .

لم يكن بوسع آخيل ، وقد احتدم الغيظ في صدره ، أن يجيب
على هذه اللهجة القاسية . بل انعقد لسانه ، وتساعد الدم إلى رأسه ،
فاحمرّ محيّا . ثم لبث فترة على هذه الحال ، وهو لا يبدى حراكاً ..
وما عثم أن صاح صيحة ارتجت لها الأرض ، فأطبق على مقبض
سيفه ، وانتزعه من غمده ، لأن نفسه حدثته بأن يطيح برأس
الزعيم المتوقع . ولكنه تردد قليلاً ، لا عن رغبة ، ولكن عن
تفكير ، حتى إذا همّ بضرب أجمنون شاهد بلاس أثينا (منيرفا)
واقفة إلى جواره ، وقد ظهرت له وحده ، لا يراها غيره ، ثم
همست في أذنه قائلة :

— هديء من روعك يا آخيل . . فما يليق أن يسوقك الخلاف

بينك وبين أجمنون إلى قتله . . هذا شيء لا يرضيني ولا يرضى
كبيرة الآلهة هيرا .

— أو يرضيك إهانتى ؟

— لا . . ولكن أجمنون سيكفر عن ذلك تكفيرا
سوف يبدو لك وسوف يرضى كبرياءك ، وبحسبك أن تعلم أنني
مبعوثة الآن من قبل كبيرة الآلهة لفض هذا النزاع . فأعد سيفك
إلى غمدة .

— حسنا . . ليس بوسعى أن أعرض رغبة الآلهة .

ثم أعاد آخيل الحسام إلى جرابه ، واختفت منيرفا . وكان
أجمنون ما يزال واقفا تلقاء آخيل ، كمن يتحداه بلسان الحال ،
كما قد تحداه بلسان المقال . . فما وسع آخيل إلا أن يقول ليخفف
عن صدره ثقل الغيظ :

— أيها المتكلم بلسان بنىء ، أو تحسب أنك بطل جدير بألا
تخجل من التباهى والانتقاص من قدر الغير . . ما أنت إلا جبان
فرار . . فما رأيك قدتنا مرة ، وإن كنت قائدنا العام ، ولأرأيك
قتلت خصما جديرا بأن يعلى قدرك فى مواطن القتال . . والكنك
هاب تخاف من مواجهة الموت . ولو وزنك اليونان بميزانك ، لكانوا
خلقاء بألا يرتضوا رئاستك عليهم . ولكنى لفرط الدهشة أكاد

أحسب أنهم على غرارك ، وأنتك ما تحكم إلا جمهوراً من الجبناء .
 إني مول عنكم ، معتزل الحرب ، وإن غدا لناظره قريب .
 فما تلبث أن تحين الساعة التي تعض فيها بنان الندم ، لأنك أهنت
 واعتديت على خير أعوانك . أما بريسيس . . فما أمنعها عنك . .
 خذها إذا شئت وافعل ما بدالك . . إنني منصرف عنك .

* * *

لم ينبث أجمنون بحرف ، بل ولّى آخيل ظهره احتقاراً ،
 واتخذ طريقه نحو خبائه ، وتفرق الجمع الذي رأى هذه المشادة
 بين البطلين . . . ثم انصرف آخيل إلى شاطئ البحر حيث كانت
 سفائنه ورجاله .

(١٩)

حين بلغ أجمنون مقر قيادته ، أصدر أمره بأن تعاد كريسيس
 إلى أبيها ، مع بعثة على رأسها أوديسيوس ، لقرضية كاهن أبولون .
 وأرسل إلى البحر سفينا وضع على ظهرها قربانا من مائة ثور ،
 واقتاد إليها كريسيس بنفسه ، ثم أقلت السفين ، وهو يشيعها
 بأنظار خاشعة ، وأمر أجمنون رجاله بأن يتطهروا . ففعلوا ،
 وألقوا إلى البحر الماء الذي اغتسلوا به ، وأخذوا بدورهم
 يقربون القربان إلى الآلهة ، وينحرون الذبائح على مقربة من

الأمواه ، فانتشرت دماؤها على أعالي الموج ، وأخذ دخانها يتصاعد نحو السماء .

وبينما كان الجيش معنيا بهذا ، استدعى أجمنون ووزيرين من وزرائه ، وأمرهما بالذهاب إلى خباء آخيل ، واستحضار برئيسيس تنفيذا لوعيده الذى هده به ... وقال لهما :

— إذا رفض آخيل أن يسلمها إليك ، فمساذهب إليه بنفسى على رأس ثلة من المشاة ، فيكون ذلك بمثابة إهانة يحسها فى القلب . ثم انطلق الوزيران حتى أشرفا على خباء آخيل ، وكان جالسا أمامه مع صديقه بتروكل الذى اعتزل الحرب ، كذلك ، إكراما لصاحبه . فلما رأياه تلبثا قليلا مهابة وخوفا ... فناداهما آخيل ، وتلقاهما بالترحاب قائلا :

— ليس الجرم جرمكما ، وما أنتم إلا رسولان .. ولكن أجمنون هو الذى تقع عليه تبعة هذه الإهانة . ثم خاطب صديقه بتروكل قائلا :

— اذهب يا بتروكل إلى خبائى فاستحضر لهما برئيسيس .

* * *

أطاع بتروكل أمر صديقه ، وأخرج برئيسيس من خبائها ، ووكل أمرها إلى الوزيرين الذين اقتاداهما نحو معسكر أجمنون . ولم يستطع

أخيل أن ينظر إلى الجهة التي تسموها ، فأشاح بوجهه بعيداً ، وظهرت في مقلتيه دموع حائرة مالبثت حتى سالت على وجنتيه .

(٢٠)

كانت الإلهة تيتيس في قصر أبيها نيروس بقاع البحار ، حين شعرت بمقدار ما يحتاج بصدر ولدها من أحزان وثورة ، وأحست به يدعوها لمواساته ، خفت إليه ، فوجدته منفرداً عن رجاله ، أخذاً ركناً منعزلاً على الشاطئ ، والدمع ما يزال بمقلتيه ، فربتت على شعره وقالت له :

— ولدى . رفه عنك . فما يحزنني أن أراك حزينا . فنظر إليها أخيل ، ثم أخذ يديها بين يديه ، وأخذ يشبههما تقبيلاً ثم قال :

— أماء . . لقد جرح أجمنون كبريائي واستلبني عادة غنمتهما بكفاسي ، ومصاويتي للأبطال حين أفتتحت طيبة .

ثم سرد عليها جميع ما حدث ، فقالت :

— هذا شيء علمته قبل أن تقصه على ، وسيكلف أجمنون غاليا . . سأقصد إلى زوس كبير الآلهة فأسأله أن ينصر طروادة على اليونان ، حتى يعلم أجمنون مقدار ما كان يحنيه من نصر ، لو أنه حرص على إرضائك ، وتجنب إغضابك . ولكن يسرنى الآن أن أراك عاملاً على التخلص من همك ، ضاحك السن .

فأفتر نغر آخيل عن إبتسامه أَرْضَتْ تَيْتِس ، فودعته ، ثم
امتطت الأمواج البيضاء ، واستحالت بعد قليل إلى بخار ،
تصاعد نحو السماء .

فعلم آخيل أن أمه قد أرتفعت إلى زوس لتسأله إنزال العقاب
باجممنون وجيشه .

(٢١)

حالقت تَيْتِس في الفضاء الواسع حتى بلغت ذروة الأولمب ،
فألقت زوس كبير الآلهة ، يتطلع إلى العالم ، فقالت له بعد أن حيته :
— كثيرا ما خدمتك يا كبير الآلهة ، ولعلك تذكر لي خدماتي .
وقد جئت اليوم اقتضيك رد المعروف في شان والدى آخيل ، إذ
تجاهل أجممنون قدره ، واغتصب منه جاريته « بريسيس » فانتقص
من قدره على مسمع ومرأى من رجاله ، واضطره بوقاحته إلى
اعتزال الحرب . فاجاب زوس :

— حقا ، إن لك مَنَسًا كثيرة عليّ . . . ولكن ماذا تريد
أن أفعل حيال ماتدكرين ؟

فقالت تَيْتِس :
— أريد أن تظاهر الطرواديين على الإغريق حتى يكون
النصر حليفهم .

فقال زوس :

— أو ماتعرفين أن ذلك يؤلب على أهل بيتي ، ويغضب زوجتي « هيرا » وابنتي « پلاس » ، اللتين طالما اتهمتاني بالتحيز لطرودة ؟
فجالت تيتيس :

— أو يرضيك أن يهان ولدي دون الثأر له ؟ ... إنني أتوسل إليك أن ترد إليه مجده ، وما يكون ذلك إلا بانكسار الإغريق بعد مغادرته لصفوفهم ، فيضطرون إلى الاعتراف بفضله وترضيته
فقال زوس :

— حسنا ... سيكون لك ماتطلبين .

فجالت تيتيس :

— شكرا يا مولاي :

ثم استقلت سحابه بيضاء ، هبطت بها إلى الامواج الهادرة ، حيث أخذت سمتها إلى قصر أبيها في أعماق البحر ، وصعد زوس إلى قصره بالسما .

(٢٢)

اكتسحت العيون بالنوم ، ورفرفت أجنحته على العالمين : عالم الآلهة وعالم البشر ، إلا زوس فقد ظل وحده ساهرا يفكر فيما دعته إليه تيتيس ، ويدبر خبير الوسائل للاقتصاص لآخيل من

الهيلانيين . فرأى أن يبعث إلى أجممنون بحلم خادع ، يزين له المبادرة إلى مقاتلة أهل طرواده أمام أسوارها قبل أن تحين الفرصة الملائمة . فاستدعى الحلم ، وقال له :

— اذهب أيها الحلم الخادع إلى سفن الإغريق ، فأبحث بينها

عن خباء قائدهم أجممنون بن أترية ، وقل له ، اذتراه نائما : أسرع إلى تسليح جيشك ، وانفض به إلى القتال دون توان . فهذا أوان الاستيلاء على طروادة ، لأن سكان قصور الأولب (الآلهة) قد أجمعوا على فض أيديهم من معاونتها ، اقتناعا برأى جينون (هيرا) كبيرتهم .

فلما سمع الحلم هذا الأمر ، شق أجواز الفضاء حتى حلّق فوق سفن الإغريق ، واتمس بينها مقصورة أجممنون ، فألفاه مستخرقا في النوم ، فقال على رأسه في صورة « نستور بن نيليه » ، أحد قادة الجيش ، وقال له :

— ما بالي أراك نائما ، أيها القائد الأعلى ، وييدك مصائرنا ؟ أو يخلق بمن وضعت على عاتقه جسيات الأمور أن تغتمض عيناه الليل بطوله ؟ أعرفني سمعك ، أنا مبعوث « جوبتر » إليك ، جئت أزين لك الإسراع إلى القتال لصلاحية هذه الآونة لفتح طروادة ، حيث أجمع الآلهة ، نزولا على رأى جينون ، على معاونة الإغريق ، وعلى رأسهم زوس الذي بعثنى إليك .

ثم إذا أنهى الحلم هذه الرسالة إلى أجمنون ، وهو في أحضان النوم ، أبتعد عنه ، وقد خلف وراءه آمالا كان عليها بدورها أن تداعب أجمنون بالغلبة ، وتمنيه بالنصر وافتتاح طرودة حين يقطنه .

(٢٣)

وحين استيقظ أجمنون ، جمع قادة الجيش ، وقص عليهم رؤياه . ورأى ، قبل أن يأمر باستئناف القتال ، أن يختبر روح رجاله المضيوية . فاتفق مع القادة على إيهام الجند بهزمه على الانصراف عن الحرب ، والعودة إلى بلاد اليونان ، وتسريح الجيش ، حتى إذا رأوهم جادين في التأهب للرحيل ، ووقفوا على دخيلة نفوسهم ، وعرفوا مواطن الضعف فيها ، عاجلوا وحالوا بينهم وبين بغيتهم ، وأقنعوهم بوجوب الاستمرار في القتال . وإذا أظهروا عزيمة صادقة في التشبث بالحرب ، كان له أن يطرب بجيشه ، ويعتد برجاله ، ويمضى في الفتح دون ريث ، أو حاجة إلى تقوية عزائمهم .

وما انعقد الاتفاق على هذا ، حتى جمع كل قائد أتباعه ، ووقف بينهم أجمنون قائلا :

— أيها الرفاق . لقد أثقلتنا الحرب ، وأججزنا فتح طرودة ، وبات علينا أن نفسكر في العودة ، بعد أن لبثنا أمامها تسع سنوات

دون أن نفوز بفتحها ، فإنه يخيل إلى أن زوس يأبى أن يمد إلينا
يداً ، وإلا لكان النجاح حليفنا منذ بدء الحصار ؛ ولعله لا يمد يده
إلينا أبداً في هذه السبيل ، على حين قد برح بنا الشوق إلى أولادنا
ونسائنا . ولخير أن نمضي قبل أن يهلكنا كر الأيام ومقاومة العدو .

ما كاد أجمعون يفوه بهذا الحديث ، حتى دب الهرج والمرج في
صفوف رجاله . وما لبثوا أن اتجهوا نحو سفائنهم ، وهم يتصايحون
من الغبطة والشوق إلى أوطانهم . وكادت السفن أن تقلع بهم ،
لولا أن تداركت الإلهة ، جينون ، الأمر ، فقالت لمنيرفا :

— ما خطب هؤلاء الاغريق؟.. أيجمل بنا أن ندعهم يرحلون؟
أيفوز بريام بالنصر في نهاية الأمر؟ كلا . لقد أعلنتها حرباً على
الطرواديين ، لاهوادة فيها ولا لين ، حتى يحل الخراب بمدبنتهم .
اذهي فامنعي رحيل اليونانيين بما وسعك من جهد .

خفت منيرفا طائفة حتى بلغت إلى حيث كان أوديسيوس واقفاً .
وكان أشبه بجوهر في وقفته ، وعلى سباه معالم الحزن العميق .
فاقتربت منه الإلهة ، ثم قالت له :

— يا ابن لايرت . . . أتفرون هكذا ، تاركين لبريام هيلين
التي هلك من أجل استعادتها كثير من رجالكم؟ . اذهب إلى الجوع
فاستوقفها بقوة إقعاك ، وحدثها عما يلاحقها من عار ، إذا تحولت
عما كانت بسبيله .

عرف أوديسيوس صوت الإلهة فآتمر بأمرها ، وأسرع إلى البارزين من رجال الجيش ، وأعلمهم ما في عمل رجالهم من خور وضعف ، وأفهمهم أن أجمعون إنما كان يريد اختبارهم حين خطب فهم خطبته ، وناشدهم أن يبذل كل جهده في منع فريقه من الرحيل ؛ فاستنفذوا الوسع في ذلك حتى أفلحوا في إقناع الجيش بضرورة البقاء للحرب . إذ ذاك ثارت ثائرة رجل من بينهم يدعى تيرسيت ، وكان قبيح الوجه كريبه المنظر ، فوقف يطعن في أجمعون قائلاً :

— وماذا يرغب أجمعون من مزيد ؟ . إن في أخيبته وخيامه من الحديد ، والنحاس ، والنفائس ، والجواري ، ما يكفي شرايته . أم تراه طامعاً في الذهب الذي يفادي به الطرواديون أبناءهم ، حين يتأقن لاحدنا أن يأسر أحداً منهم ؟ . أيها الاغريق ، ما أراكم ، وقد اتصفتم بالجبن ، إلا نساء ارتضت الخضوع لمثل هذا الطامع الطامح الذي يؤثر نفسه بما تصنع أيديكم . ولو كنتم غير ذلك ، لكان أولى بكم أن تعودوا إلى أوطانكم ، تاركيه وحده ليستأثر بطروادة وذهبها إن أمكنه أن يفعل . إنه رجل لا يعرف قيمة رجاله . وما العهد بإغضابه آخيل ببعيد . ولو لم يكن آخيل حليماً ، بل ضعيفاً ، لكانت الأهانة التي وجهها إليه أجمعون ، آخر اهانة يمكن أن يوجهها إلى رجل .

هكذا تحدث نيرسيت ، ولكن أودسيوس هاله الأمر ، فوقف إلى جواره وقال :

— أيها المجنون ، الزم الصمت مع صوتك الجمهورى المنكر فما أراك إلا آخر رجل يليق بأن يتعرض للهوك بهذا الخطاب . إن لأجمنون حقا فى أن تكون له أسلابنا وغنائمنا ، وهو قائدنا الأعلى . ولكن أنت أيها القبيح القدر ، ما شأنك وهذا ؟ قسما لأنزع عنك لباسك ، ولأطردنك عاريا إلى سفينتك ، إذا عدت إلى سفاهتك مرة أخرى ؛ ثم ضربه أودسيوس بصولجانه على كتفيه ، فارتجف من الألم ، وطفرت الدموع فى عينيه ؛ فذهب ينهض بعيدا وبه ما لا يوصف من الخجل . فتعالت ضحكات الجند وانكشففت الغمة التى ساورت نفوسهم أزاء تلك اللعبة التى لعبت عليهم . ثم التفت أودسيوس إلى الجموع المحتشدة ، وقال .

— كنا على وشك الحنث بالعهد الذى قطعناه على أنفسنا . فأى عار كنا ملاقيه فى ذلك ، وأى فشل كنا مصادفيه ، نحن الذين صبرنا حتى وسع صبرنا البقاء أمام طروادة تسع سنوات ؟ أفما كان من الخسار أن تضيع ثمرة الجهود التى بذلناها ، وثمره هذا الوقت الطويل الذى صبرناه . لقد مضى من الوقت أكثره ، وما بقى إلا أقله ، ثم تكون طروادة مديننا .

عندذاك صفقت الجوع استحياسا ، وحبذت مقال أوديسيوس ،
وبالغت في مدحه . ثم أمر أجمعون بأن يتناول الجيش غذاءه ،
ويأخذ عدته للحرب ، ويتأهب للنزال عما قليل .

وبينما كان بريام ملك طروادة ، ومستشاره أنتينور ، وأمير
يدعى تيموتيس ، وآخرون ، جلوسا في أحد أبراج سور طروادة
يشاهدون مشاهد استعداد الإغريق للقتال ، طلعت هيلين عليهم بين
جواربها ، فقال بعضهم لبعض همسا :

— حقا ما في تقاتل الإغريق والطرواديين من أجل مثل هذا
الجمال من عار ، وهو جمال خلقت بآلهة الأولمب . ولكن بودنا لو
عادت إلى ذويها لكيلا تسبب خرابنا بوجودها بيننا .

ولكن الملك استدعاها قائلا :

تعالى إلى جانبي يا بنية ، واجلسي إلى جوارى أترى أتابك
وأصدقاءك . فما أتهمك بالتسبب في محنتنا ، ولكني أتهم الآلهة الذين
ألبوا علينا هذه الجيوش المتحالفة .

أنبئني يا بنية باسم هذا الرجل العجيب . إن له بنية قوية وطلعة
ممتازة تميزانه عن غيره ، وإن امتاز عنه الغير بالطول . ولكن لم
ترقط عني إنسانا بمثل هذا الجمال وتلك العظمة . وكأني به ملك
أو أميراً .

فأجابت هيلين :

— أننى أوقرك يا أبتاه ، وأستحي منك . وبودى لو صادفت الموت يوم تبعث ولدك ، وهجرت فراش الزوجية ، وتركت أخوة وأترابا ، وابنتى الوحيدة « هرميون » .

ولكن ما كان الموت مقدورا لى ... لهذا تستهلكنى الآن مدامعى . تسألنى عمن يكون هذا المحارب الذى استرعى انتباهك . إنه أجمنون بن أترية ، الذى يملك فن الحكم وفن القتال معا . لقد كان أخا — لو صح أن أدعوه بالأخ — حين كنت زوجا لأخيه .

جعل الشيخ يتأمل هذا المحارب الفذ ، ثم صاح :

— ما أسعدك يا أتريد (إسم آخر لأجمنون) . أيها المعزز عند الأرباب والأقدار ، كم من شعوب تخضع لسلطانك !

ثم نظر إلى أوليس (إسم آخر لأوديسيوس) وقال :

وأنبئنى يا بنية ، من يكون هذا المحارب ؟ . إنه أقل طولا من أجمنون ، ولكن منكبيه وصدره أكثر اتساعا ، وهو يمشى بين صفوف المحاربين مشية الكباش بين نعاجه .

فأجابت هيلين :

— إنه ابن لايرت « أوليس » الحازم الفطن ، ملك جزيرة إيساكا ذات الصخور المتوعدة . وهو صاحب رأى ودهاء .

فَقَالَ أَنْتَيْنُور :

— حقا ماتقولين ياهلين . فقد لمست ذلك بنفسى ، حين وفد هذا الرجل إلى مدينتنا بسببك ، يرافقه منلياس المقدم . لقد استضفتكما ببيتى ، ورحبت بهما ، وعرفت أخلاقهما واتساع عقلمهما . وحين وقفنا بين جموع الطروديين ، استرعى منلياس الانتباه بارتفاع قامته ، ثم حين جلسا تراءت من أوليس هيئة أدعى إلى الاحترام . وحينما خطبا فى الجموع ظهر فى خطاب منلياس الإيجاز والقوة ، وظهر فى خطاب أوديسيوس الإطناب ، والبلاغة ، والتأثير وقوة الإحاطة . فكان السامع يراه متكلما فى صورة غير صورته صامتا : صورة لا يملك معها إلا الإعجاب به .

ثم عاد بريام فتساءل :

— ومن ذا يكون ذلك القائد العريض المنكبين المرتفع القامة ؟

فأجابت هيلين :

— هذا أياس الأكبر ابن تيلامون ، حصن اليونان ، وإلى جانبه «أيدومين» ملك كريت . وأنا أعرف هذا الأخير حق المعرفة ، لأنه كثير أ ما كان ينزل بنا ضيفا فى منزل منلياس بأسبرطة . وأرى إلى جانبهما كثيرين غيره باستطاعتى أن أنبئك بأسمائهم . ولستكنى لأرى أخوى «كاستور» مروض الخيل و«بوليدوسيس»

المصارع . أفىكون ذلك لأنهما تخلفا عن الجيش ، أم لأنهما متواريان
عن العون استحياء من الظهور بوصمة العار التى كنت سببا فيها .
ما كادت هيلين تذكر أخويها ... وتقرن باسميهما العار ، حتى
التمعت فى عينها الدموع . ولو أنها عرفت إنهما رهينا جدت بوطنها
« لا كونيا » لذرقت دما فى إثر مدامعها .

(٢٤)

وعندما اصطف الجيشان استعداداً للطعان ، تقدم الطرواديون
متصايحين كاسراب الطيور ، فبلغت أصواتهم عنان السماء . على
حين تقدم الإغريق صامتين كظلمين الغيظ . فاذا التحم الجيشان ،
ظهر باريس فى طلعة كطلعة الآلهة على رأس رجاله ، وهو يرتدى
جلد نمر ، ويتمنطق بحسامه ، ويختال عجباً بنفسه . وفيما هو يشق
طريقه بين الصفوف ، شاهد محارباً مسناً ، يحاول أن ينال منه
مقتلاً . سوى أن منلياس شاهده فكاد يطير فرحاً ، اذ علم أن
الساعة قد أذنت بأن يقتصر لنفسه من خاطف امرأته وغاويها ،
فاندفع نحوه كما يندفع الأسد الهائج نحو غزال شارد . فما أن رآه
باريس حتى ارتاع ، وطارت نفسه شعاعاً ، وولى هارباً معتصماً
بالصفوف الأخيرة من رجاله . فليحه هكتور متراجماً متحامياً
منازلة منلياس ، فقال له لأنما معنفًا :

— أبها التعس . . . ما من مزينة أراها لك سوى جمالك .
وتلك مزينة لعمرى أولى بربات الحجال . أما الشجاعة والاقدام فما
من سبيل لها إلى قلبك ، وما أراك إلا جباناً ، خواراً ، خائناً ،
خداعاً ، مجيداً لإغراء النساء .

ليت أمك لم تلدك ، أو ليتك مت قبل أن ترتبط بهذا الزواج
الآثم ، الذى جلبت به عارنا وعارك ، وقبل تلك الساعة التى وليت
فيها هارباً ، عندما وقع بصرك على عدوك ، فزدت نفسك عاراً على
عار . كان يحسبك من يراك محارباً صوّالاً ، لأن مظهرك ينبئ بذلك
فإذا أنت الآن تعلن عن روح ضعيفة خائفة ، فأدخلت السرور
بذلك فى قلوب أعدائك ، ولم يعد من عجب أن تخاف منيلياس ،
وأنت سارق زوجته ، وكان خليفك باهل طروادة أن يرجعوك لما
أنزلت بهم من محنة .

فقال باريس :

— أراك محقاً فى ملامتى وتعينى . فما أستطيع قط أن أكون
على مثل شجاعتك . ولكن أتظن أنى مذنب إذ خلقت جميلاً ؟ تلك
هبة إلهية ، وما صنعتت نفسك ، ولكن خلقنى الآلهة بهذه الصورة
التي تلومنى عليها .
سوى أنى مع ذلك على استعداد لمنازلة منيلياس على انفراد ،

فإذا أردت ، فمر رجالك بالتوقف عن الاقتتال ، واسع في إبلاغ الإغريق باستعدادى هذا . فمن كانت له الغلبة من بيننا فاز بهلين والغنيمة ، وانعقد النصر لقومه مع حقن الدماء .

* * *

سر هكتور بهذا الحديث سروراً بالغاً ، ودعا الجيشين إلى عقد هدنة ، فاستجابا لدعوته رغبة في وضع حد لهذه الحرب المهلكة .

وأقبل بريام في مركبة يقودها صديقه ووزيره « أنتينور » للقاء أجممنون وأودسيوس لعقد الشروط . وأمر أجممنون باستحضار حمل ، فأحضره الحجاب ، وصبوا خمرأ في إناء . فانتضى قائد الإغريق حسامه ، وقطع صوفا من رأس الحمل ، ثم وزعه على الحضور من قادة الجيشين . ثم رفع يديه إلى السماء متضرعا بصوت مرتفع إلى زوس كبير الآلهة ، وإلى هياوس إله الشمس الذى يشرف على العوالم كلها ، وإلى بليتون إله الجحيم الذى يعاقب الاشرار ، وسألهم أن يكونوا شهود هذه المعاهدة ثم قال :

— إذا سقط منلياس بيد باريس احتفظ باريس بهلين والغنيمة ، وعاد الإغريق إلى أوطانهم فى سلام . وإذا قتل منلياس باريس ، أعادت طروادة هيلين والغنيمة ، ودفعت تعويضا مناسباً ، تذكرة

للأعقاب . أما إذا امتنعت طرودة عن دفع هذا التعويض فلن ينصرف الهيلانيون عن محاربتها ، وإن استردوا هيلين والنفائس المسروقة .

ثم نحر أجمعنون حمله ، كما نحر حملين أمر باستحضارهما بريام ، فسقطت جميعا ، وهى تحتلج وتضطرب ، متصاعدة الأنفاس . ثم وزعت الخمر على الكؤوس ، وتعالى التوسلات إلى الآلهة من كلا المعسكرين ، وصعد بريام من بعد إلى عجلته ، واتجه بها إلى مرتفعات طرودة ، بعد أن قال لإتباعه « أنا لا أستطيع أن أمكث لأرى ولدى المعزز منازل الخصم مخوف الجانب » .

وأشأ هكتور وأوديسيوس يقيسان ميدان القتال . وسحبا اقتراعا ليريا أى المحاربين عليه أن يبدأ بقذف رمحه ، فكان ذلك من نصيب باريس .

وكان باريس يرتدى عدة حريرية فاخرة ، مكونة من درع يغطى صدره ، وحذاء يغطى ساقيه ، وخوذة على رأسه ، وسيف متدل على جانبه . وكذلك كان منلياس .

ولما أذنت ساعة النزال ، تقدم الخصمان إلى الساحة المقيسة بين المعسكرين ، وهما يتبادلان نظرات مروعة . ووقف أحدهما لتلقاء الآخر يحرك رمحه ، والغضب وإمارات التهديد بادية عليهما .

ثم ابتداءً بباريس ، فقذف رمحہ ، فأصاب الرمح منلياس ، سوى
لأنه لم ينفذ خلاله وانثنى طرفه . فرفع منلياس رمحہ بدوره وابتهل
إلى كبير الآلهة قائلاً :

— أى جوبتر العظيم . لقد آنت الساعة التى يجب أن يعاقب
فيها الخائن الغادر ؛ فكن عوفى . . . عاقبه يا رباه ، ليحذر الناس
فى مؤتلف الايام العذر بمن يأتهمهم ، ويستقبلهم فى بيته ، ويغدق
عليهم من صداقته .

ثم قذف الرمح فانخرق درع بباريس ، ولكنه لم يصل إلى إهابه .
إذ ذاك شهر منلياس حسامه ، وضرب خصمه على خوذته ضربة
أراد بها أن يخرق رأسه . فأنكسر الحسام دون أن يودى بباريس ،
فزفر منلياس زفرة ، ثم صعد بصره إلى السماء مستعينا بجوبتر ،
وانقض على باريس ، فأمسك بخوذته ، وجعل يسجبه على الأرض ،
فكاد سيرها أن يخنقه . وكان منلياس على وشك الانتصار ، لولا
أن تداركته فينوس ، الأمر ، فقطعت السير ، فاستشاط غيظاً
وحمل عليه برمحہ . عنذاك حملت أفروديت باريس بين ذراعيها ،
وطارت به فى صورة سحابة ، وأوصلته إلى غرفته بقصر الملك
بريام ، حيث أضجعت بين ذراعى هيلين ؛ فوجد بينهما العزاء عن
نكساره . أما منلياس فقد اندفع كالوحش ، ههنا وهناك ، باحماً

عن خصمه بين صفوف الطرواديين . ولو أن أحداً منهم عثر به
لأسلمه إليه . فما كانت قلوبهم الا منطوية على بغضه ، لما أنزل بهم
من محنة .

ونهمض أجمعون أخيراً فقال :

— يا أهل طروادة وداردانيا ، الظافر منلياس ؛ لهذا أعيذوا
الينا هيلين والغنيمة ، مع تعويض مناسب . فتعالى الخفاف من
جانب الإغريق .

(٢٥)

اجتمع مجلس الآلهة بقصر زوس ، فقال :

— أيها الأرباب ... أترون أن نقض ما بين الإغريق وأهل
طروادة من عداوة ، فيعود أجمعون ومحالفوه إلى أرجوس بسلام ،
وتنجو مدينة طروادة ؛ أم نقضى بمواصله القتال بينهما إلى أن
تفتح هذه المدينة ويخسر أهلها الحرب .

فقالت هيرا :

— يا كبير الآلهة ما أحسبك تحب أن تذهب جهودى
أدراج الرياح ، فقد أتعبت جوادى فى جمع الإغريق وحلفائهم ،
ولقيت عنتا وتعبا حتى رأيت جيوشهم تجتمع حول أسوار طروادة ؛
والآن تستفسرنا عما نريد وهو لا يخفى عليك : أننى أريد أن أرى

بعيني خراب طروادة وسقوط ملكها .

فقال زوس :

— وأنت يامنيرفا . . . ماذا تريدن ؟

فقالت منيرفا :

— بودى لو رأيت جميع الطرواديين ها لكن .

فقال زوس :

هذا حسن ؛ ولكن أما تذرني أن طروادة مدينة معززة
عندي ، وما رأيت من أهلها إلا طاعة لي ، وتقربا إليّ بالقرايين
والضحايا .

فقالت هيرا :

— الأمر أمرك إذا أردت فاستبقها واستبق أهلها ، ولكن
ذلك سيسبب لي ألما كبيرا .

فقال زوس :

— أرايتني أتعرض لك في مدينة تحبينها ؟

فقالت هيرا :

— لديك ثلاث مدن أخصها بمحبتى ، وهى : أرجوس ،
واسبرطة ، ومسينا ، أن أردت فاعلمها من الوجود . ولكن دعني
أرى ثمرة مجهودى فيما أحب من خراب طروادة .

فقال زوس :

لك ماتشائين ، ولكن محنة هذه المدينة ستحزن كثيراً في نفسي .
اذهي يامنيرفا فاعمل على فض المهادنة بين الجديشين ، وإثارة
الحرب بينهما من جديد .

(٢٦)

هبطت منيرفا حتى بلغت معسكر الطرواديين في صورة أحد
أمرائها ، وسرعان ماشقت طريقها إلى « بنداروس » راحى السهام .
وكان محاطا برجاله الذين أتى بهم « أسيباس » لمعاونة طروادة .
فتقدمت إليه منيرفا وقالت له :

— يا ابن ليسكاؤون ، استمع لنصحي : إنك إن أصبت
منلياس بسهم من سهامك فأرديته ، أصبت مجداً ، وأرضيت حلفاءك
وذاعت شهرتك بينهم ، فيجزل باريك مكافأتك . فهلارميته بنبل
ضارعا إلى أبولون أن يرديه .

فقال بنداروس وقد دب الحماس في قلبه :

— أجل أراك مصيبا .

ثم ولى وجهه شطر معسكر اليونان باحثا عن منلياس حتى بصر
به ، فوضع سهما في قوسه ، وشد القوس ، فأطلقت السهم فأصاب
منلياس في خاصرته ، ولكن منيرفا كانت ساهرة في الوقت نفسه

على حياة عاهل أسبرطة ، تخففت من قوة السهم أثناء انطلاقه ، وجعلت أصابته سطحية . غير أن الدم سال غزيراً حتى أفزع أجمنون عندما وقعت عليه عينه ، فقال :

— أواه يامنلياس ، ألموتك كانت هدتنا ، تلك الهدنة التي خانها الطرواديون ؟ ولسكنهم سيدفعون الثمن غاليا إن عاجلا وإن آجلا . لقد حنثوا بيمينهم وخانوا عهدهم ، لذلك سيكون عقابهم مضاعفا . سيصادفونه من الآلهة ومنا ، وسينصب على رؤوسهم ورؤوس بنينهم ونسائهم ، وستسقط أسوار طروادة ، وسيهلك بريام وشعبه .

ومع ذلك أى فجيعة أصادفها فيك إذا قضيت يامنلياس . سأعود إلى أرجوس موصوما بالعار ، موسوما بالذلة ، لأن جيوشنا ، إذا مت ، لن تفكر إلا فى العودة إلى الوطن ، تاركين وراءهم هيلين لبريام وقومه ، وتاركينك لحدث قريب من الأعداء لعاهم أن يعتلوه قائلين : « هكذا كان نصر أجمنون ، وعبثا ماقاد إلينا من جند وخيل » .

فقال منلياس :

— جنب قلبك هذه الأوهام ، وإلا دب الرعب بها فى نفوس جنودك ، فأنى أتفاؤل خيراً ، وأرجو ألا تسكون إصابتى قاتلة :

فقال أجمنون :

— استجابات الآلهة إلى رجائك .

ثم بعث أجمنون في طلب « ماشاؤون » الذى تعلم الحكمة من شIRON (١) ، لطيب منلياس . نخف لإليه ، وانتزع السهم ، وامتص موضعه ، ووضع على الجرح بلسما شافيا .

(٢٧)

تحفز الطرواديون للقتال وكذلك الإغريق ؛ وأخذ أجمنون يمر على الفرق المختلفة وقادتها ، حائلا على الاستعداد ، مستهضنا لهم . فذهب إلى معسكر أيدومين ملك كريت ، فوجده متأهبا ، متحفزا . وعطف إلى أياس الأكبر بن تيلامون وأياس الأصغر بن أواليه ، فألفاهما مستعدين ، ومضى إلى نستور العجوز ، ملك بليوس ، فوجد روحه المعنوية لاتضارعها روح الشباب ، وذهب إلى منستوس ملك أثينا ، وأودسيوس ملك إيساكا ، فاستشف أنهما غير عالمين بانتهاء الهدنة ، وبما كان من غدر الطرواديين ؛ فأنهى لإيهما الخير ،

(١) حيوان خرافى ، له جسم جواد ورأس إنسان ، وقد عرف بالحكمة وسعة العقل والمهارة الحربية ، وهو الذى يعزى إليه نشأة فتة كبيرة من أبطال اليونان .

وشخص إلى دايو ميدوستينيلاس فطلب منهما أن يكونا على ما كان عليه
آبأؤهما من قوة وشجاعة . فأخبراه لئنهما لا يقلان في ذلك عن الآباء
ولئنهما عما قريب سيظهران من الصولة ما يستثير إعجابه .

وما لبث أن تلاحم الجيشان ، وحمل وطيس القتال . فأخذ
المحارب ينازل المحارب ، والقائد يصاول القائد . وأعمل الإغريق
السيف في رقاب الطرواديين ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأظهر
ديوميدي من ضروب البطولة ما أثار إعجاب رجاله وقتل كثيراً من
الأبطال ، كما قتل أميرين من أبناء بريام . فعز ذلك على إينياس بن
أنشمين ، البطل الطروادى . وهو كآخيل ، أبوه من البشر وأمه
« فينوس » ، إلهة الحب والجمال ، فتأدى بنداروس رضى السهام وقال له :
— أين قوسك وسهامك يا بنداروس ؟ ... وأين مهارتك التى
لا ينازعك فيها منازع فى شد القوس ... أرم رمية تقضى على هذا
المحارب المخوف .

فقال بنداروس :

— يخيل إلى أن هذا المحارب ليس من البشر ، فقد رميته رمية
ظننت معها أننى مود به ، فما أصبته ، وما زدت على استئثاره غضبه
ونقمته ، فصب جامهما على رؤوس مواطنى .

فقال له إينياس :

— هلم فامتط مركبتى الحربية ، واتخذ من جيادها مكان القائد ،
ودعنى أنفرغ لقتاله بالرمح .

فركب بنداروس المركبة ، وأمسك باللجام ، وقادها يدين
خبيرتين إلى حيث يرجد «ديوميد» . فرآهما «ستينيلاس» مندفعين
نحو صديقه فقال له :

— يا ابن تيديه ، أيها المعزز إلى قلبى ، أرى محاربين تحفزهما
نحوك قوة قاهرة : أحدهما خبير برمى السهام ، والآخر ابن أنشين
من الإلاهة فينوس . هلم فتراجع إلى الرءاء ، واحتم بصفوف رجالك .
فصوب اليه ديوميد نظرة مروعة وقال له :

— لا تكلمنى عن الهرب ، فما أنا بالذى يتراجع أو يرتاع ،
وما خارت قواى بعد .

وفياهما فى هذا الحديث ، إذا بالبطلين الطروديين يصلان
على مركبتهما . فقال بنداروس بن ليكاوون موجه خطابها إلى
ديوميد :

— أيها المحارب الذى لا يقهر ، يا ابن تيديه ، خذها ضربة
صائبة من رمحى هذه المرة .

ثم قذفه برمحه فاخترق درعه . فصاح ابن ليكاوون قائلا :

— ها قد أصابتك في خاصرتك ضربة قاتلة . لقد كلتني أخيرا
بالمجد :

فقال ديوميد :

— خاب فألك ، فما بلغت ضربتك إهاني .

ثم رمى رمحہ ، فأصاب بنداروس أسفل عينيه ، وشج رأسه ،
واستأصل لسانه ، واخترق ذقنه عند رقبته . فسقط من فوق عجلته
صريعا لا ينبث بكلمة . فترجل إينياس عن مركبته لينع الإغريق
من سحب جثمان صديقه ، وشهر في وجوههم رمحہ ، وبدا كالأسد
الهاجم يهدد كل من تحدته نفسه بالاقتراب من الجثمان .

فتناول ديوميد حجرا لا يستطيع أن يحمله رجلان ، وقذف به
البطل الطروادى عند أسفل خاصرته ، فانكسرت عظمتها ، وسقط
إينياس مضرجا بدماؤه ، غائبا عن وعيه . وأوشك أن يفقد حياته لولا
أن تداركت الإلاهة « فينوس » الأمر — وهى أمه — فحملته بين
ذراعيها الجميلتين البضتين ، وطارت به إلى خارج الحلبسة . ولكن
ديوميد رآها وهى تحمله ، إذ مكنته من ذلك جينون كبيرة الآلهة ،
وأغرته بمهاجمتها ، لأنها إلاهة ضعيفة لامتزية لها إلا جمالها ، وليس
لها خبرة منيرفا وبللون لإلاهة الحرب فى الشؤون الحربية .

حينذاك رماها برمحہ فأصاب يدها بجرح خفيف ، ونفسذ فى

نقابها الإلهي فلامس بشرتها الوردية . وفي الحال سال دمها بخاراً
نقياً ، ذكياً . فدفعت فينوس صيحة عايسة ، وسقط ولدها من بين
ذراعيها . ولكن أبولون « إله النور » أسرع فحملة ، وأدرجه في
سحابة كثيفة ليجنبه سهام الهيلانيين والموت .

فقال ديوميد لفينوس بصوت جهورى :
— يا ابنة جوبتر ، أتركي الحرب ومخاطرها . أفما يكفيك
خدع الغريرات من بناتنا ؟ إنك إن ظهرت مرة أخرى في حلبات
مارس (إله الحرب) فستتعلمين كيف ترهبين الحروب .
سمعت فينوس هذا القول فانسحبت ، ومضت حزونة مهذبة .
وجاءتها إريس «رسولة الآلهة» فأخذت بيدها ، وأخرجتها من
حلبة القتال ، وهى توشك أن تلفظ أنفاسها من الألم . فصادفت في
طريقها أخاها مارس ، جالسا عند جناح الجيش الأيسر . وثمة سحابة
كانت تواريه ، وتوارى جواده ذات الضفائر الذهبية ومركبته .
فجثت فينوس عند قدميه ، وسألته ملحة أن يعيرها جواده ومركبته
لتصل بها إلى الأولمب . فلم يرضن عليها بما طلبت . ثم ركبتم العربية ،
وصعدت إريس إلى جوارها ، وتولت القيادة . وما لبثت المركبة
أن بلغت إلى مستقر الآلهة . وأرادت مينرفا وجينون أن تشيرا
جوبتر ضد فينوس ، فمالتا له هازئين ، ساخرتين :

— يا أبا الآلهة .. حاولت فينوس أن تغرى إحدى اليونانيات
باللحاق بطروادى — وهى الآن مغرمة بطروادة وأهلها —
فخرجت يدها الناعمة بدبوس من دبايدس زينتها ، وهى آخذة فى
محاولتها .

فضحك زوس عندما سمع ذلك القول ، واستدعى فينوس
الشقراء وقال لها :

— يا بنية ... ليست الحروب من عملك ، فدعها لمنيرفا
ولمارس ، وحسبك الحب وشواغله .

(٢٨)

لم يستطع أحد من أهل طروادة أن يقلل من خطورة ديو ميد
فى هذه الموقعة . وقد أضجى ، بعد مطاردته لفينوس ، أشد هياجاً
من أسد . وأخذ يورد أعداءه موارد الخنف . فطلب العراف
هيليناس من أخيه هكتور أن يذهب إلى طروادة ، ويكلف بناتها
ونسائها تقديم الضحايا والقرابين إلى «مينرفا» بمعبدها ، عسى أن
تقلل من نقمته على الطرواديين ، وتأخذ بيدهم فى القتال ، وتدرأ
عنهم سطوة ديو ميد وثورته ، وتكف عنهم شره . فانطلق هكتور
حتى أتى شجرة تين قائمة عند أحد أبواب طروادة ، فخرجت النساء
والبنات لمقابلته ، راغبات فى أن يسمعن أخبار بعولتهن وآبائهن .

فطلب إليهن أن يتضرعن إلى الآلهة ، ويسالنها النصر . ثم مضى إلى داخل المدينة . فجاءته أمه «هيكو با» ومعها وعاء مملوء خمرًا وسألته احتساء القليل منه ، فأبى ، وطلب إليها أن تمضى بجواربها ، وأتباعها إلى معبد «بلاس أثينا» (اسم آخر لمينرفا) لتضع شالا فاخرًا على ركبتي الإلهة ، عسى أن تخفف من ثقلها .

ثم ذهب إلى بيت أخيه باريس ، وسأله الانصراف عن مداعبة هيلين إلى الحرب ، فاستجاب لطلبه ، وأخذ في ارتداء درعه ورمحه . وانصرف هكتور إلى بيته لمشاهدة زوجته أندروماك وولده «أستياناكس» ، فعلم إنها مضت به إلى سور طروادة للأشراف على القتال ، والاطمئنان على زوجها . خفف إليها ، وأخذ يبتسم وهو يحملق في ولده بين ذراعي مربيته . فقالت له أندروماك مستعبرة باكية وهي تعتمد على ذراعه :

— أى زوجى . إن قلبك الكبير سيقودك إلى الهلاك . وما بك من شفقة على ولدك أو على . وعما قليل أصير أرملة حين ينقض عليك جميع الاغريق ويدبحونك . ولكنى أوشر أن يكون موتى قبل موتك ، وإلا امتلأت حياقي بالعذاب والأسى والأسف .
ومالى من أب أو أم أو أخ يخففون عني ، أو يكفكفون دمعى ، وقد أهلكهم أخيل جميعا عند غزو «ثيبا» .

أشعر قلبك أذن بعض الرحمه بي . وابق هنا ، ولانتم هذا الطفل ،
 واجمع الجيش عند شجرة التين هذه ، حيث يسهل على العدوار تقاء
 أسوار طروادة ، واجعل همه الدفاع عن الشجرة ؛ فما عداها محال
 على الإغريق أن يصلوا إليه . وما من حاجة بك بعد ذلك إلى
 حلبة القتال .

فقال هكتور :

— إنني أشاطرك مخاوفك ، يازوجتي العزيزة . . . ولكني
 أخاف ملامة الطرواديين والطوراديات ، إذا تجنبت القتال كالجنباء .
 هذا إلى ما تقتضيه شجاعتي ، وقد عودت اقتحام المخاطر ، إلى
 ما يقتضيه مجدى ومجد أبى .

أعرف مع ذلك أن طروادة مهددة ، وأن ملك أبى معرض
 للضياع . وما يؤلمنى ما أعرف من ذلك بقدر ما يؤلمنى مصيرك حينذاك .
 قال هكتور هذا القول ، ثم اقترب من ولده ، وبسط إليه
 ذراعيه ؛ ففزع الطفل بين ذرعى مربيته من بريق السلاح وصليله
 وأخفى وجهه فى صدرها ، ودفع صيحة تنبئ بالخوف . فابتسم
 أبواه ، ونزع هكتور خوذته الحربية ، ووضعها على الأرض ،
 ثم لثم ولده بحنان ، وضمه ، وشمه ، وطلق يهدده بين يديه ، ثم
 أبتهل إلى الآلهة قائلا :

— أى جوبتر . . . وأنتم يا آلهة الأولمب . . . اجعلوني وولدى جديرين بالتعظيم بين أهل طروادة ، وهيثوا لولدى أن تحدوه جرأة كجراتى ، وقوة كقوتي ، حتى يقال يوما إذا عاد من القتال مزوداً بالغنائم ، إنه أشد بسالة من أبيه . إذ ذاك تفرح به أمه ، وتطيب نفسها بلقائنه .

ثم وضع ولده بين ذراعى أمه المعززة التى وضعته على صدرها المعطر ، ورمقته بنظرة باسمه باكية . ثم ودعها هكتور ومضى إلى القتال . وعادت هى إلى دارها ، والدموع منهلة من مآقيها ، ووراءها وصيفاتها باكيات منتحبات .

(٢٩)

التقى هكتور وباريس بحلمة القتال . فآزرا فى مقارعة أبطال الإغريق . وأردى كل منهما محاربا . واشتدت المعركة حتى أودى كثيرون من كلا الفريقين . فلما رأت منيرفا هلاك كثيرين من اليونانيين ، وأن كفة الطرواديين توشك أن تكون الراجحة ، هبطت من الأولمب إلى أسوار طروادة . وكان أبولون مناصر الطرواديين واقفا على شرف ينظر إلى المعركة الدائرة . فلما شاهد منيرفا خف إليها وقال :
— يا ابنة جوبتر . . . لماذا أسرعت من قمة الأولمب إلى هذا

المكان ، وبك من الغضب مالا تستطيعين إخفاءه ؟ وما هذه النار التي
تتأجج بين جوانحك ؟ أجيئت لموازرة الإغريق وأنت لا تطيقين أن
يعقد النصر لطر وادة ؟ .. إذا كان بك خوف من هذا ، فهلى نوقف
القتال مؤقتا .

فقال مينرفا :

— تلك رغبتى ، ولهذا هبطت . ولكن أى وسيلة نصل بها
إلى ذلك .

فقال أبولون :

— لنحرض هكتور على دعوة الإغريق لنزال منفرد ،
ونحرض هؤلاء على الإصاخة لدعواه .

وافقت مينرفا على ذلك ، وأوحى الإلاهان إلى هيليناس
عراف طروادة بما اتفقا عليه . فاقرب من أخيه هكتور ، وأنهى
إليه الإرادة الإلهية . فوقف هكتور بين الجيشين ، ونادى قائلا :

— أيها الطرواديون ... أيها الإغريق ... أعيرونى السمع :

إن الآلهة غير راضية عن انتهاك حرمة هدتنا التى سلف أن
تعاهدنا عليها ، وأرى الآن أن أعرض عليكم إيقاف القتال ، على
أن يتصدى أحد أبطالكم لمنازلتى ، فإذا صرعى كانت له عدتى
وسلاحى ، وأعاد جثمانى إلى آلى لمواراته التراب . وإذا صرعتيه ،

علقت عدته بمعبد أبولون ، وخولتكم دفنه على ساحل الهلسبون
عسى أن يقال يوما ، إذا مر بقبره عابر سبيل ، « هنا قبر محارب
قتله هكتور إذ نازله » . وبهذا تستطير شهرتي وتبقى إلى الأبد .

ما أن سمع الإغريق هذا المقال ، حتى وجوا ، وسادهم الصمت .
فما كان فيهم من يجرؤ على منازلة هكتور على انفراد ، وهو بطل
مغوار صوّال ، والسكن منلياس عرض أن ينازله ، فأبى أجمنون
ذلك عليه . مخافة ألا يفوز أخوه على هذا المقاتل الفذ وليس له
من ضريب إلا آخيل .

فلما طال الصمت نهض نستور العجوز فقال :

— يا أسفي على هيلاس . . . أهكذا خلت من الأبطال ؟
أهكذا يكون عارنا ؟ . أما بينكم من تواتيه الشجاعة لمنازلة هكتور ؟
آه لو كنت شابا ، إذن لأريتكم كيف أتصدى لمقارعة هذا المتحدى .
حفز هذا القول تسعة مقاتلين من قادة اليونان على لقاء البطل
الطروادى ، وهم : أجمنون ، وديوميد ، وأياس الأكبر ، وأياس
الأصغر ، وأيدومين ، وصديقه مريون ، وأوريفيل ، وتواس ،
وأودسيوس .

والح كل منهم في أن يكون منازله . فرأى أجمنون أن يجري

بينهم اقتراعا ، فوقع على أياض الأكر ، فتهلل وجهه بالبشر وخاطب
هكتور قائلا :

— لا تحسب يا هكتور أن أبطال اليونان ، بعد أخيل ، قد
نضب معينهم . فها قليل تعرف قدر أبطالنا .

فقال هكتور :

— أتحنسبني طفلا أو امرأة فيخفيني قولك ... إني أعرف
كيف أتوقاك بدرعي ، مترجلا كنت أم راكبا . ولا البش ان
أذيتك طعم طعناتي وأرديك .

ثم قذف هكتور أياض برمح فلم ينفذ في درعه ، فعمد فله أياض فأخترق
درعه . سوى أن الرمح لم ينفذ إلى جسمه . ثم استل كل منهما حسامه
وتبادلا الطعنات ، فلم ينل هكتور من خصمه ، ونال خصمه منه
بأن أصابه بجرح في عنقه . ولكن هكتور تناول ضخرة كبيرة
رمى بها أياض . وحذا أياض حذوه ، فسقط هكتور على ركبتيه
فبادر إليه « أبولون » فأنهضه . وأنشأ البطلان يتحاوران ويتصاولان
حتى أجهما الليل . فنادى منادى الإغريق كما نادى منادى الطرواديين :

— كفنا عن القتال ... فكلا كما معزز عند « جوبتر » ، وكلا كما
بطل مغوار ... ولكن الليل أرخي سدوله ، وللليل طاعة مفروضة .

فقال أياس :

— أيها المناديان .. هذا مقال توجهانه إلى هكتور، فهو الداعي إلى القتال ، وهو الذى يسال إيقافه وما على إلا الطاعة .
فقال هكتور :

— أى إياس ... إنك محارب شجاع .. دعنا الآن نضع حداً لقتالنا ، فالظلام حتماً قد عم السكون ، وليذهب كلانا إلى رهطه ليدخل المسرة إلى قلوب محبيه ، ولتتلاق في مرة أخرى إلى أن يعقد « زوس » النصر لأحدنا .

ودعنا الآن نرحل صديقين ، بعد تبادل الهدايا ، ليقال « إنا تصاولنا ببطولة في قتال منفرد وافترقنا صديقين » .

فأيده أياس وأعطاه منطقته وأخذ من هكتور حسامه ثم افترقا

* * *

وأقام أجممنون في هذه الليلة حفلة ساهرة لتكريم البطل اليوناني ، لما أبدى في القتال من ضروب الخفة والمهارة .

— ٣٠ —

لم ينس « زوس » وعده « لتيثيس » ، فعقد العزم على تهيبه أسباب القوة لجيش طروادة ، حتى ترجح كفته في القتال على جيش أجممنون ؛ ومن ثم يقر أجممنون بذنبه ويندم على ما اقترف في حق أخيل .

ورأى زوس أنه لو ترك الآلهة وشأنهم ، فلن يتأذى لأهل
طروادة هذا الفوز الموقوت . لأن فريق الآلهة المشايخ لليونان
أكثر قوة وأعز نفراً من فريق الآلهة المشايخ لطرودة . فأمر
زوس بانعقاد مجلس الأرباب على قمة الأولمب ثم تكلم فيهم قائلاً :

— يا آلهة الأولمب . . أعيروني سمعاً واعياً فأنبئكم بإرادتي
السامية . وما أحب أن أرى أحدكم ، إلهاً كان أم إلهة ، ضارباً
عرض الأفق بأوامري . فتقبلوها وإلا استطعت تحقيقها برغمكم .
فأيكم يغادر السماء لمساعدة الطرواديين أو الهيلانيين لن يعود إلى
السماء إلا مشحناً بالجراح ، ملطخاً بالعار . ومن ثم فسأقصيه إلى
أعمق تراتار (الجحيم) . ولتعلموا الآن إن أحدكم مهما أوتي من
قوة ، فما هو ببالغ قوتي وقدرتي .

وجم الآلهة عند هذا الحديث الشديد للهجة ، وصمتوا طويلاً ؛
إلا أن منيرفا قطعت الصمت قائلة :

— يا أبتاه ، يا سيد الأرباب والبشر ، نحن على علم بقدرتك ،
ومع ذلك فإننا نحزنون لمحنة هذا الشعب الباسل ، الشعب اليوناني ،
الذي أوشك على الانكسار . غير إننا لن نعاونه مادامت تلك

إرادتك . ولكن أما تخولنا أن نسدى إليه النصيح لئلا تجهز عليه
نقمتك ؟ ..

فقال زوس :

— اطمئني يا ابنتي ، لن يكون غضبي على هذا الشعب إلا موقوتا .
ولسوف أكون لك على الدوام أباً باراً ، رحماً ، فأرضيك في
الوقت المناسب .

* * *

انفض المجلس بعد هذا الحديث ، وقام زوس فأعد مركبته
بجياها الطائرة ، ذات الأعراف الذهبية ، واعتلى مقعد قيادتها ،
ثم قادها بنفسه بين السكواكب والارض نحو قمة جبل إدا . وهناك
أوقف مركبته ، وأحاطها بسحابة كثيفة لئلا تقع عليها عيون البشر ،
وجلس يصوب أنظاره إلى أسوار طروادة وإلى سفن الإغريق .

— ٣١ —

فتحت أبواب طروادة ، وانطلق منها الجيش في حماسة واندفاع
لملاقاة جيش اليونان . . . واشتبك الفريقان بالسهل في قتال شديد
وأخذت تتعالى صيحات الظفر ، وتختلط بحسرة المحتضرين من
الجرحي ، وسال الدم متدفقا ، كما يتدفق الماء من العيون . ثم مالبت
زوس أن أرعد وبرق على مرتفعات « إدا » ، وأرسل على الإغريق
صواعقه ، فدب الفرع في قلوبهم ، وتعرضت حياتهم للمخاطر حين

حمل عليهم الطرواديون حملة واحدة بقيادة هكتور . فلولوا الإدبار ولم يستطع شجعانهم كأوليس ، وأيدومين ، وأيباس الثبات في وجه تلك القوة المتدفقة . وأخذ هكتور يستحث جياده ، ويخاطبها بأسمائها خطاب الظافر . فاستشأ طت جينون كبيرة الآلهة غضبا ، ولكن لم يكن بوسعها أن تبذل شيئا من المساعدة إلى الإغريق مخافة أن يصب جو بتر غضبه على رأسها ، فرأت أن تغرى بذلك نبتون إله البحر فقالت له :

— أنت يا من تهز الارض حتى أغوارها ، يا إله البحر القادر أفا تأخذك الشفقة بهذا الشعب المسكين الذي طالما غمر معابدك بالضحايا والقرايين ؟ . أما تحب نصرته ؟ . هلم ندفعه إلى النصر دون خوف من بروق جو بتر ورعوده .

فقال نبتيون :

— أي جينون ، بأي جرأة تتكلمين ؟ . أبستطاعني أن أحارب أخي جو بتر ، وأقاوم إرادته ، وهو أعزنا جانبا ، وأشدنا سلطانا ؟
— ؟ ؟ ؟

وهكذا لم تفلح جينون فيما أرادت ، واستمر الجيش الظافر في تقدمه ، والإغريق في تراجعهم . وحاول قادتهم الثبات وأفلح أجمنون ، وديوميد ، وأودسيوس في قتل كثيرين من أهل طروادة

ولكن القتال أعجزهم في آخر الأمر ، وانسحبوا من حلبة جرحى .
 وكان لسهام بارس أثر كبير في ذلك ، إذ أصاب ديوميد بسهم ،
 وأصاب ماشاؤون طبيب اليونان بآخر .. وأوشك هكتور أن
 يودى بحياة نستور ، لولا أن تداركه بعض الأبطال واختطفه على
 عربته ، ونجّاه من وجه مطارده . وأخذ هكتور يوغل في
 مطاردة أعدائه حتى اضطرهم إلى الاحتباء بالسفن . ولكن حلبة
 القتال لم تكن قد خلت من كل أبطال الإغريق ، إذ بقي بها بطلان
 مغواران ، هما : آياس وأيدومين ، واستطاعا أن يثبتا لهكتور
 بعض الوقت ، ولكنهما اضطررا في النهاية إلى التراجع . وكان أخيل
 على سطح أحد سفائنه ، في منعزله ، يراقب القتال ، فشاهد أبطال
 الإغريق يتخلفون عن القتال واحداً بعد واحد ، ثم أخذ جيشهم
 يتقهقر بانظام فقال لصديقه بتروكل :

— لا يلبث الإغريق أن يحيثوني متضرعين ، جاثين . فأنى أرى
 حاجتهم تشتد إلى .. ولكن أسرع لترى من يكون هذا الجريح
 الذى أحضره نستور على عربته ... يلوح لى أنه ماشاؤون الطبيب .
 فنضى بتروكل إلى خباء نستور ، فوجد إلى جانبه ماشاؤون
 جريحاً ، فهمّ بأن يعود أدراجه بعد أن تحقق منه ، ولكن نستور قال له :
 — أيهم أخيل أم أنا ؟ ... أعلم مادها أنا ؟ .. لقد جرح ديوميد ،

وأودسيوس ، وأجمعنون . وكذلك ماشاؤون على ما ترى . ليتنى
كنت فنيا ، أذن لزدت عن قومي شراً مستطيراً .
ولكن هل لك في خير يا بتروكل ؟ ... أجل ، إذا أردت أن
تسدى يداً إلى قومك في محتهم ، فاذهب واطلب من آخيل أن
يعيرك سلاحه ، وادخل القتال على رأس رجاله ، عسى أن يدب
الرب في قلوب الطرواديين ، إذا رأوك خفسبوك إياه . . فتنجوا
بذلك من هزيمة منكرة ، لأنهم لن يلبثوا أن يولوا الأدبار .
فقال بتروكل :

— حسنا ... ان آلو جهدا في إقناع آخيل بذلك .
ثم مضى إلى آخيل ، وصادف في طريقه « أورو فيل » ، جريحا ،
وهو صديق يعزه . كما شاهد عموداً من الدخان صاعداً من سفن
« بروتيسيلوس » فأغتم غما شديداً ، وعز عليه أن يحرق هكتور
سفن الإغريق .

وحينما عاد إلى آخيل ألح في العودة إلى القتال . ولكن ابن
بليوس رفض أن يعين قومه ، لأنه كان لا يزال يذكر إهانة أجمعنون .
وكان على استعداد للدفاع عن سفائنه ، إذا حدث هكتور نفسه
بالاعتداء عليها . ولكنه سمح لبتروكل بمعاونة الإغريق ، وزوده
بسلاحه ورجاله ، وسأله أن يقصر دفاعه على السفن ، ورد الطرواديين
على أعقابهم . وكان هكتور في هذه الأثناء قد بلغ ذروة انتصاره ،

واقترب من سفن « بروتيسيلوس » ، وأشعل فيها النار بعد دفاع
مجيد من أبياس الذى ظل يدافع عنها حتى خارت قواه ، وتلاشت
أمام هجمات الطرواديين .

وفى هذه الساعة التى بلغ فيها ضعف الإغريق أوجه ، جاءهم
بتروكل يقود المرميدين ، أهل تساليارجال آخيل الأشداء . وخاض
المعركة ، وأظهر من ضروب الشجاعة ما يتعذروصفه ، وقتل كثيرين
من زعماء الطرواديين ، وحلفائهم اللبسين الذين جاءوا إلى الحرب
يقودهم سارييدون ، وصعد الظافر عن السفن المحترقة . فراع
سارييدون ، وهو ابن زوس وأمه من البشر ، ما فعل بتروكل بقومه .
فترجل عن مركبته ، وأخذ يبحث رجاله . . فرآه بتروكل فهاجمه
مهاجمة عنيفة ثبت لها سارييدون . وأخذا يتقاتلان ، وهما يتصاحبان ،
كما تتقاتل النسور بأعلى الجبال .

وكان جو بتر ينظر إليهما ، وإلى جانبيه « جينون » ، فقال لها :
ها قد أذنت ساعة موت ولدى ، وإننى ليجزنى ذلك وأحدث
نفسى بأن أحمله من ساحة الحرب إلى وطنه ليسيا . ولكن الأقدار
تقضى بموته .

فقال له جينون :
— إنك إن حاولت إنقاذك ، فسيكثر اللغظ بين بقية الآلهة ،

وسيقولون أن جو بتر يميز نفسه علينا . فما بالناس نترك أولادنا من
البشر يموتون بساحات القتال ؟ ولماذا لاننقذهم من الموت على غرارة ؟
فقال جو بتر :

— أى جينون . . إن أبا الأرباب والبشر لا يعترض حكم
الاقدار . . . سأترك ولدى للموت . . . !
ثم صهغ جو بتر آفاق السماء بلون الشفق ، معلنا بذلك حزنه على
ولده الذى لا يلبث بتر وكل أن يرذيه .

* * *

التقى المحاربان ، فألقى سار بيدون قناته ، فأصاب بيداس جواد
آخيل ، سوى أن قائد المركبة أسرع ففصل الجواد عنها . وبينما
كان سار بيدون يحاول أن يضرب ضربة ثانية ، أصابه بتر وكل برمح
في أسفل قلبه إصابة مميتة . فسقط سار بيدون على الأرض صائحا
طالباً إلى رفيقه جلو كاس ألا يدع جثمانه للإغريق ؛ ووثب بتر وكل
فأنزع الرمح من الجمجمة . وكان جلو كاس قد سمع نداء رفيقه ، فحاول
أن يمنع الأعداء من أخذه ، ولكن سهما أصابه فجرحه ، وكاد
يعجزه عما كان بسبيله ، فتضرع إلى أبولون قائلاً :

— فى أى مكان كنت يا إله النور استجب دعوتى . لقد تمزقت
يدى ، وأتخنت جراحى ، وأكاد أفقد دى جميعه . ومع هذا ،

أجدني تلقاء واجب إنقاذ جثة صديق سارييدون بن جوبتر ،
 هذا الإله الغافل عن ولده . . إشف جراحى يا إله النور وأعنى
 فيما أنا ماض فيه .

هكذا كانت توسلاته إلى أبولون ، فها وسعه إلا الاستجابة
 له ، إرعاء لزوس ، فبدد ألمه ، وشفى كلومه . فسر جلوكاس واستنجد
 بالليسميين ، ثم بهكتور ، ثم بغيره من قادة طروادة ، وأهاب بهم ألا
 يدعوا جثة صديقه للهيلانيين ، لكيلا يتركوها طعمة للكلاب
 وجوارح الطير .

فأستحضر بتروكل ، أياس ومريون إلى جانبه لمؤازرته ، وابتدأت
 معركة حامية الوطيس حول الجثمان ، بينما كان زوس ، على قمة
 الأولمب ، يشرف على هذه المعركة ، محزوناً لمقتل ولده ، ومبغضاً
 الشر لقاتله بتروكل . إلا أنه منع ذلك أراد إمهاله ، فكسبه من رد
 الطرواديين ، ولكنه لم يغفل عن ولده في الوقت ذاته ، فقال لأبولون :

-- أى ولدى ثوباس (اسم آخر لأبولون) . أسرع فاستخلص
 ولدى سارييدون من بين المحاربين ، وطهر جثمانه فى النهر ، ثم
 طيبه بالعطور ، وأدرجه فى أثواب إلهية وكله إلى النوم والموت ،
 عسى أن يحمله سريعا إلى بلده ليسيا فيقوم أخوته وأصدقائه بدفنه
 ويشيدون له قبرا .

فقال : سمعاً وطاعة .

ثم أتمر بأمر كبيره .

ومضى بتروكل في تقدمه ظافراً ، لا يستطيع أحد صده .
وأوشك أن يفتح طرودة في هذا اليوم ، لولا أن أوقفه أبولون ،
وحال بينه وبين ذلك أكثر من مرة ، وهو مع ذلك لا يرتدع ، ويجاهد
في تخطي الأسوار المنيعه ، حتى قال هذا الإله في آخر الأمر :
- إلى الورا . يا بتروكل . فما قدر لطرودة أن تفتح على يدك ،
ولا على يدى آخيل نفسه ، وهو يفوقك قوة واقتداراً ، ويعلوك
مهارة وصوله .

وكان هكتور في هذه الأثناء ، واقفاً إلى جوار مركبته عند
أبواب طرودة متردداً حائراً بين أن يواصل القتال أو أن يأمر
رجاله بالاحتياء وراء الأسوار ، فتقدم منه أبولون في صورة صديق
من أصدقائه واستحثه على مهاجمة الإغريق مرة أخرى قائلاً له :

— ليتنى كنت قوياً مثلك ، إذن لما تركت هذه الفرصة السانحة
تفر من بين يدي . . . ها أنت ذا ترى بتروكل أمامك وبوسعك
أن ترديه إذا حاولت . ولعل أبولون أن يساعدك :

قال ذلك ثم انسل في زحام القتال . وما سمع هكتور ذلك حتى
أسرع إلى بتروكل على مركبته ، فتصدى له هذا ، وقذف سائقه

بصخرة كبيرة ، أسقطته على الأرض وقتلته ، وتقدم لتجريد جثته من سلاحها ودرعها ، فترجل إليه هكتور وطفقا يتصاولان ، ويتغالبان إلى أن هبط إليهما أبولون ، وضرب بتروكل بقبضته ضربة أذهلته . إذ ذاك انتهز طروادى يدعى إيفورب هذه الفرصة ، وطعنه بالرمح طعنة نفذت من ظهره ، فانقض عليه هكتور وأجهز عليه ، ثم قال مفاخرأ :

— هكذا خلت افتتاح طروادة سهلا ميسورا . وما فكرت قط في مقدرتى على صدك ، والحيلولة دون نجاحك . هاقد أذقتك كأس الحين ، وما أفادتك عدة آخيل وسلاحه شيئا . ولا أغنى عنك صديقك المحب لك الذى آثر أن ينزوى ويدفعك إلى القتال . فقال بتروكل كالمتمنى ، وهو يعانى سكرات الموت :

— لك أن تفخر يا هكتور والفضل لأبولون الذى أذهلنى عن نفسى ، ولهذا الطروادى الذى أصمانى بسلاحه ، ميسرا لك أن تجدنى فريسة ، سهلة سائغة . على أن آخيل لا يلبث أن يأخذ بشارى ويدبحك ذبح الشاة عما قليل . ثم لفظ بتروكل أنفاسه . وذهبت روحه إلى عالم الموت . وكاد هكتور أن يضع يده على مركبة آخيل التى حارب عليها بتروكل . ولكن « أتومو دون » سائقه أفلت بها ، وولى الإدبار . وهنا حاول الطرواديون الاستيلاء على جثمان بتروكل ،

ولكن منلياس حال دون ذلك ، ووقف كالأسد يحامي عنها ، ويهدد كل من تحدّثه نفسه بالاقتراب منها ، فتقدم منه إيفورب وقال له :
 — ابتعد عن الجثمان ، أى منلياس ، وإلا أذقتك الردى .
 ودعنى وأنا ، أول طاعن لبتروكل ، أجنى ثمرة ما صنعت يداى ،
 فأخذ سلاحه ، وأصيب به مجدأ فى قوى .
 فقال له منلياس :

— إياك والاقتراب منها ، يا إيفورب ، وإلا ألحقك بأخيك
 الذى قتله من قبل ، وكان يباهينى بقوته ، ويرمينى بالضعف .
 تذكر إيفورب مقتل أخيه ، فرأى أن الفرصة سانحة للأخذ
 بثأره ، وقال فى نفسه لو قتلت منلياس ، وقطعت رأسه ، وحملتها
 إلى أبوى لكان فى ذلك عزاء لهما عن موت أخى . ثم رى منلياس
 فى الحال برمح ، فأنثنى الرمح ، ولم ينفذ فى درعه . وهم بأن يعيد
 الكرة حين عاجله منلياس بضربة قاضية ، وعراه من عدته وسلاحه .
 وما استطاع طرودادى ، بعد ذلك ، أن يقترب منه ، لأنه كان
 كأسد هائج . ولكن أبولون حرض هكتور على جمع البارزين من
 رجاله ومهاجمته لإنقاذ جثة « إيفورب » من لين برائته . فأوشك
 منلياس أن يعجز عن الاحتفاظ بجثة بتروكل ، لولا أن استعان
 أياك الأكبر بن تيلامون غير أن هكتور استطاع أن يستولى

على سلاح بتروكل ، وهو سلاح آخيل ، وكان بسيل جره حين منعه أياص من ذلك . فتمهقر هكتور إلى الورا ، واهتبل فرصة خلع فيها سلاحه ، وارتدى سلاح آخيل الذي غنمه من بتروكل ، وهو السلاح الذي أهداه الآلهة لآبيه يوم عرسه . ثم خف هكتور إلى القتال من جديد . واستمر القتال حول جثمان بتروكل ، وكل من الفريقين يمني نفسه بالفوز به .

* * *

وكان آخيل مشرفاً على مناظر القتال من بعد ، فرأى الإغريق يتراجعون إلى معسكرهم فتوجس شراً ، وقال في نفسه لقد أوصيت صديقي بتروكل بأن يقصر مجهوده على الدفاع عن السفن ، وأن لا يغامر بمنازلة هكتور . ترى هل أصابه مكروه ؟ وفيما هو مستغرق في توجساته وهو أجسه ، إذا بانتيلوكاس يتيممه ، ويقول له :

— يا ابن بليوس ، جئتك أحمل إليك أخباراً سيئة . فقد قتل بتروكل ، ويجاهد الإغريق في منع هكتور من الاستيلاء على جيشه ، بعد أن أستولى على سلاحه . رفع آخيل عقيرته بالبكاء ، عندما علم بمقتل صديقه الحميم ، فسمعتة أمه « تيتيس » ، فجأت إليه على عجل ، وسألته عما يحزنه ، وقد

حلت السكوارث بالإغريق عقاباً لهم عن إساءة أجمعنون إليه، فقال :
 — حقاً يا أماء ، لقد صادف الإغريق جزاءهم .. ولكنني اليوم
 فقدت صديقا عزيزاً ، كما فقدت سلاحى الذى أعزته إياه ، وهو الذى
 أهداه الآلهة إلى أبى يوم عرسه ، وبت لا أفسر إلا فى الشار من
 قاتله هكتور .

فقال تيتيس :

— ولكن قتل هكتور إيدان باقتراب ساعتك .

فقال أخيل :

— أوترين للحياة قيمة إذا خلت من الصديق الصدوق ؟ لالان
 أهدأ بالاحتى أثار له ، وما تهمنى العواقب بعد ذلك ، سيان عندى
 الموت والحياة .

فقال تيتيس :

— حسنا ، يحمل بك أن تشأ لصديقك ، ولكنك أضعت
 سلاحك ، فانتظر يوما أو بعض يوم حتى أسأل « أفيسستوس » ، إله
 النار أن يصنع لك سلاحا غيره ، ثم أخففت تيتيس .
 وكان هكتور ، فى هذه الأثناء ، يحاول جهده أن يفوز بجثمان
 « بتروكل » . وكان أياص الأصغر (ابن أواليه) ، وأياص الأكبر
 (ابن تيلامون) يقاومان به بشدة . ولكنه أوشك أن يتغلب عليهما

إلا أن هيرا بعثت رسالة الآلهة « إريس » إلى آخيل ليسرع إلى
 نجدهما ، ويعمل على إنقاذ « جثة » صديقه . فبرز آخيل إلى ميدان
 القتال واعتلى شرفا ، واكتفى بأن صاح ثلاث صيحات أشاعت
 الرعب والفرع في قلوب الطرواديين ، فراجعوا ، وتقهقروا ،
 وتأتى الإغريق أن يحملوا بترك كل إلى معسكره ، فحمله آخيل إلى
 خبائه . وهناك جعل يبكيه ويرثيه ، وأقسم ألا يواريه التراب حتى
 يقتل هكتور وينكل بأهل طروادة .

* * *

وأخذ الطرواديون ، وكانوا بعيدين عن مدينتهم ، يتشاورون
 في أمرهم : أيعودون إلى المدينة ، ويحتموا بأسوارها ، أم يظلوا
 بمكانهم حتى يخرج آخيل لمحاربتهم ؟

فرأى بوليداس أن الاحتباء بالمدينة المنيعه أجدى على الجيش
 إلى أن تحين الفرصة الملائمة لقتل آخيل بالسهم . ورأى هكتور
 أن البقاء خارج المدينة ، ومهاجمة سفن الإغريق ، أدعى لتحقيق
 النصر ، وأخذ على عاتقه أن يتكفل بآخيل . . فأخذوا برأيه
 واحتفظوا بمراكبهم .

— ٣٣ —

وصلت تيتيس مع وصيفاتها حوريات البحار إلى قصر فولسكان

(اسم آخر لافيسستوس) . وكان إذذاك فى كوره مشغول بالحدادة .

فاستقبلتها زوجته « شاريس » بترحيب وهشاشة ، وقالت لها :

— أوه . . . أيتها الإلاهة الموقرة . . . أى مصادفة سعيدة
قادتك إلى هنا .

ثم قادتها إلى مسكنها ، وأجلاسها على عرش مشيد بذوق وفن .
ثم أسرع إلى زوجها فأخطرته ، فقال فولسكان : « إن قصرى
يستقبل أجدر الآلهات باحترامى ومحبتى . فقد مدت إلى يد العون
حين غضبت على هيرا زوجة أبى ، وقذفتنى من قبة السماء ؛ إذ
استقبلتنى بين الأمواج الهادرة ، فوقتنى صدمة السقوط ، وأعدت
لى مغارة بين صخور البحر ، بقيت بها تسع سنوات أزاول
الحدادة « مهنتى المفضلة » ، متوارباً عن عيون تزدرينى ، وقلوب
تمقتنى . فالآن تأذن الساعة برد الصنيع . اذهبي فاحتفلى بها حتى
ألحق بك . »

وما غادرته زوجته حتى أخذ ينفذ يده من أعماله ، ولحق بها
مسارعاً ، فلما رأى تيتيس قال :

— أيتها الإلاهة الجديرة بالاحترام والمهزة ، فيم جئت ؟

فنهنت تيتيس دمعة مسفوحة بظهر يدها وقالت :

— ما فى الوجود أعس حالاً منى . فقد اضطررت إلى الزواج من

بشرى ، رجله الآن على حافة القبر . وأرى ولدى كذلك قريب من ختام حياته . ومع ذلك تقضى الأقدار بالأأئنيه عن عزمه ، وأن أدعه يلاقى حتفه فى مناصرة الإغريق والثأر لصديقه بتر وكل الذى أودى فى القتال ، وأضاع السلاح الذى زوده به ، وهو هدية الآلهة إلى أبيه فى يوم عرسه . والآن أراه بحاجة إلى سلاح غيره . فقال فولسكان :

— خفى عنك ، أنا كفى لصنع هذا السلاح .

ثم غادرها إلى مصنعه ، وصنع لها درعا وسلاحا وخوذة ، وبذل غاية جهده فى تنميقها ، وتزويقها ، وجعلها من المتانة والصلابة بما يليق بعدة حرية يقوم إله بصنعها ، ثم رجع إليها وقال :

— إليك بما طلبت .

فأخذت الإلهة ذات الأقدام الفضية السلاح الذى صنعه فولسكان لولدها ، وغادرته شاكرة حامدة هابطة نحو الأمواج ، ووراءها وصيفاتها حوريات البحار .

— ٣٣ —

أمضى أخيل الليل باكيا منتحبا على جثمان صديقه . وفى مطلع الفجر جاءته تيتيس بالسلاح المنشود ، ووضعت على جثمان الفقيد حنوطا لى تصونه من الفساد إلى أن يأذن ولدها بدفنه ، ومضت .

عندئذ خرج أخيل إلى الساحل ، وصاح بأعلى صوته ، داعيا
الإغريق إلى الاجتماع ، فلبوا نداءه فرحين مسرورين .

وحضر إليه المقادة والجند ، على رأسهم أو ليس ، وديوميدي ، وأجمنون
— وكانوا قد برئوا من جراحهم — فقال أخيل مخاطبا أجمنون :

— ليس من الصواب أن يطول خصامنا ، بل ليت إننا لم نتخاصم
وليت بريسيس لم تلدها أم . إذن لأنقذت حياة كثيرين ممن أودوا
في القتال من رجالنا ، ومن بينهم بتروكل . ولكن دعنا الآن ننسى
ما مضى . فقال أجمنون :

— أيها الأبطال المغاوير ، يا أصدقائي الأعزاء . اعللوا أننى
أنحرفت عن جادة الصواب يوم أهنت أخيل . ولكنى كثير أماندمت على
ذلك . والآن أعيد إليه ، باسم الصداقة ، بريسيس ، طاهرة ، نقيّة الذيل
كيوم أخذتها ، وأحبوه بكثير من الهدايا والمنح ، فقال أخيل :

— لا تكلمنى الآن عن هذا ، ولتتكلم عن القتال ، وليتأهب كل
رجل له في الحال .

فقال أجمنون :

— لك ما تطلب .

هناهمض أوديسيوس ، وأشار بالتريث حتى يتناول الجنود
طعامهم ، لأن القتال على فراغ المعدة مضعف للمقاتل . فنزل أخيل

على رأيه . وبينما كانوا منهمكين بتناول الإفطار ، أقيدت برسيس إلى خيمة أخيل ، ومعها كثير من الهدايا . فلما أبصرت بتر وكل مسجيا على الفراش ، وقعت عليه مستعبدة منتحبة ، ثم قبلته وهي تعدد مناقبه ، وتذكره بلطفه ومآثره . واعول معها الجوارى ، وشاركهن أخيل البكا . وهو يتجادل ويحاول أن يخفي دموعه عنهن ، بينما كان حديث نفسه : « سيكون ثأرى لك يا صديقي حديث الأجيال .

— ٣٤ —

بينما كان كلا الجيشين يتأهب للقتال ، كان مجلس الآلهة منعقد في السماء . إذ كان جوهر قد أمر تيمس إلهة العدل أن تدعو الآلهة إلى الاجتماع . فجابت فضاء السماء ، وذرعت آفاق الأرض حتى جمعتهم . فجاءوا وحدانا وزرافات إلى قصر كبيرهم ، وبينهم آلهة الأنهار ، وحوريات الأدغال ، ولم يتخلف أحد سوى «أوسيان» إله المحيطات . وكان نبتون أول متكلم فيهم ، إذ قال متسانلا :
— أي جوهر ، أي قاذف الصواعق ، ومحرك السحب ... لماذا

أمرت باجتماعنا ؟
فقال زوس :

— أي نبتون ، يا من تهز جوانب الأرض بأبحر تك ، أمرت باجتماعكم لأن الإغريق وأهل طروادة مقبلين على معركة فاصلة ،

ورغبى أن أطلق حريتكم ليعاون كل منكم من يحب من الفريقتين .
والآن اذهبوا من حيث أنتم .

* * *

أيقظ جوبتر الفتنة بين الآلهة بقراره هذا ، فانقسموا إلى قسمين :
فريق يناصر طروادة ، وهم : مارس ، وأبولون ، وديان إلهة
الصيد ، ولاتون إحدى زوجات زوس ، وإجزانة إله النهر ،
وفينوس ، وفريق يناصر اليونان ، وهم : جينون ، وبلاس ، ونبتون
وفولكان ، ومركير (اسم آخر لهرمس) إله الفصاحة والتجارة
ورسول الآلهة .

ونزل الآلهة إلى ميدان الحرب يساعدون المحاربين ، ويحفزونهم
على القتال ، وكل يود لو انتصر فريقه .
ثم مالبت أن قامت بينهم حرب ضروس ومعارك ضجت لها
الأرض والسماء .

— ٣٥ —

خرج أخيل إلى القتال بين جموعه الزاخرة ، فصادف إنياس بن
فينوس — وكان أبولون قد أعاده إلى جيش طروادة بعد أن أنقذه
من ديوميد — فكاد يذيقه كأس المنية بعد صيال ومعاركة عنيفة ،
لولا أن اختطفته أمه « أفروديت » . ومضى أخيل يقتل كل من

يصادفه ، وأكثر من التقتيل حتى امتلأ نهر «إجزانت» ابن جوبتر ،
الذى كانت تدور عليه رحي الموقعة ، بجثث الموقى من الطرواديين ،
فقال النهر :

— لقد ملأت أمواهي الصافية بهذه الجثث . وهكذا ستعوقها
في سيرها إلى البحر . فأمسك عن التقتيل يا أمير المحاربين .
فقال أخيل :

— يا إله هذه الضفاف ، يا ابن جوبتر ، ما أرى باستطاعتي
الامتناع عن مقاتلة الطرواديين حتى يردبني هكتور أو أوردبه .
ثم استمر أخيل في تقتيله غير عابئ بالنهر ، وأخذ يتعقب
الفارين الذين كانوا يقذفون بأنفسهم إلى مياهه أحياء ، مخافة بطشه
ونقمته . فاندفع أخيل وراءهم وخاض في النهر . إذ ذاك ثارت
ثائرة ابن جوبتر وتعكرت أمواهه ، وهدرت أمواجه ، وقذف
على ضفافه ما استودع من جثث الهالكين ، وأسمع خوارا كخوار
الثور ، وأخفى الأحياء من الفارين في مغاوره وأفواه جسوره ،
وأخذ الموج الفائز المزبد يكتنف أخيل من كل جانب ، ويتهدده
بالغرق . فأمسك أخيل بغصن شجرة على الشاطئ ، فاقبلتها
الأمواج ، وأظهرت جذورها في الهواء ، وحملها التيار . ولكن
أخيل حاول أن يحتمى بها ضد اندفاع الأمواج التي أخذت

تصارعه ويصارعها ، ولكنّها غلبته على أمره ، فاستنجد بالآلهة
قائلا :

— أما من يمد يده إلى من آلهة السماء ؟

فلم يمدّ إلا قليل حتى سمع بلاس ونبتيون قائلين :

— لا تخف إنك ناج ، وهذا يوم سيتقرر فيه مجدك .

ولكن النهر لم يعبأ بذلك ، ومضى ينقله من خطر إلى خطر ،
واستعان بأخيه «سموا» للإجهاز عليه قائلا :

— هيا ، يا أخى «سموا» ، نبذل ما وسعنا من جهد حتى نفرق

هذا المحارب ، الذى يرمى إلى غزو طروادة ، وتحطيم أسوارها ،
وهلاك شعب .

فتآزر معه سموا ، وفارت مياهما مشتركة ، وأزبدت وأظهرت
حصانها وطميها ، وكادت تقضى على أخيل غرقا . ففزعت جينون
وخاطبت ولدها فولكان قائلة :

— أيفسد علينا هذا النهر خططنا . إن أخيل إن هلك ، نجت

طروادة ... هيا يا فولكان ، فضع حدا لثورة هذا النهر الغرير ...

عليه كيف يتجاسر على الحيولة دون إرادتنا .

هبط فولكان فى الحال بلبه ودخان ، وسلط ناره على ما يكسنف

النهر من مروج ، فأحرقت النار ما عليها من جثث القتلى ، ثم اندلع

لهم إليها إلى الأشجار الباسقة التي تحف بجانيه ، فجعلتها أثرا بعد عين .
ثم صوب فولكان غضبه نحو النهر نفسه ، فاشتعلت أمواجه ،
وضجت مخلوقاته ، وتسلسل أخوه «سموا» هاربا . فقال النهر :

— أى فولكان ، ما بوسع إله آخر أن يثبت لنارك . ليستول
آخيل على طروادة في الوقت الراهن اذا شاء ، فما أنا متعرض له
بعد الآن .

اذ ذاك كف فولكان عن محاربة النهر ، ونجا آخيل . ثم إن
القتال استعر بعد ذلك بين بقية الآلهة بسبب هذا الحادث ،
واستطاع آخيل في هذه الأثناء أن يشيع الذعر في نفوس الطرواديين
بما أكثر من قتلهم ، وساقهم أمامه سوق الأنعام ، وهو آخذ في
مطاردتهم وتعقبهم . وحين كان الطرواديون يتدفقون أمام آخيل
إلى داخل المدينة للاحتباء بأسوارها ، كان الملك بريام واقفا في
أحد أبراجها ينظر إليهم . فامر بأن تفتح أبواب المدينة جميعاً ،
ليتمكن جيشه من دخولها عجلان ، قبل أن يهلك منهم آخيل خلقا
كثيرا . وأوشك آخيل في مطاردته أن يقتحم المدينة ، لولا أنه
توقف يستريح قليلا ، فاهتبل آجينور بن أنتينور هذه الفرصة ،
وقذفه بقناته ، فاصطدمت بالدرع الواقى عند ذقنه ، فلم تصبه .
فانقض آخيل على آجينور ، ولكن أبولون حمله في سحابة ، ووضع

في مأمن بعيداً عن ميدان القتال . ثم شبه لآخيل أن المحارب
الطروادى أخذ في محاورته مبتعداً عن طروادة ، فاندفع وراءه
منقاداً بقوة الغضب ، وهو لا يعلم أن أبولون قد اتخذ صورته
ومحاول إبعاده عن أسوار المدينة . فانتهر الطروادون هذه الفرصة
ودخلوا مدينتهم أفواجا . وما استطاع أحدهم أن ينتظر رفاقه
ليسأل عن نجا منهم ومن سقط صريعاً ، فكان حسبه أنه من الناجين
السالمين . ولكن هكتور لم يرقه أن يفر فرار الجبان الهلوع ،
فلبث خارج الأسوار ، وعيناه حاول بريام أن يصيح به لينجو
بنفسه . وكان آخيل إذ ذاك قد كف عن مطاردة أبولون في صورة
أجبنور لما أعجزه من أمره ، وأخذ طريقه حيث يقف قائد
الطرواديين . فكرر بريام صيحاته قائلاً :

— هكتور يا أعز أبنائي . . ادخل المدينة وإلا هلكت . فما
يهوضني عنك ولا يعوض أمك شيء في الوجود . . كن بي رحيمًا يا بني ،
ولا تعرض حياتك للضياع ، وإلا ضعت بعدك .

وكذلك قالت هيكوبا ، ودفعت الصيحة وراء الصيحة ،
وأظهرت نديها لولدها تناشده بحقهما عليه أن يدخل المدينة . ومع
ذلك جمد هكتور في مكانه ، واستند على الجدار في انتظار آخيل ،
وقال لنفسه :

— إذا دخلت المدينة تعرضت للملأمة « بوليداماس » ، لأنى لم أستمع لنصحه يوم أشبار بالاحتواء وراء الأسوار ، فعارضته بضرورة البقاء فى السهل لصد آخيل ، وقال الناس « هكتور » سبب ضياعنا . وإن بقيت هنا تفاديت بالموت لوم اللأثم إذا لم يقدر لى الانتصار على آخيل .

ووصل آخيل فى هذه الأثناء ، وهو يمشى مشية إله الحرب . فلما رآه هكتور اضطرب ، وخفق قلبه خفقاناً شديداً ، واستبد به رعب لم يعده من قبل ، فتقهقر إلى الوراء ، وترك أبواب المدينة ، ثم ولى الإدبار ، فعدا آخيل خلفه كباز يطارد حمامة . ومرا بهذه البقعة الجميلة من مصب نهر « إجزانت » التى كانت تستحم عندها صباياً وحسان طروادة فى أيام السعد ، وظلا يتسابقان حول أسوار طروادة حتى قطعاهما ثلاث مرات ، فأشفق كبير الآلهة بهكتور ، وحدثته نفسه بإنقاذه ، ولكن منيراً لفتت أنظاره إلى وجوب احترام حكم الأقدار .

وعندما وصل هكتور إلى مصب النهر لرابع مرة بمعاونة أبولون الذى كان يطيل أنفاسه ، نصب جوبتر ميزانه الذهبى ليستنبى الأقدار عن قضائها فرجحت كفة هكتور ، وشالت كفة آخيل . إذ ذاك التزم أبولون جانب الحياد ، وانطلقت منير فالتمعاون ابن بليوس ،

فظهرت لهكتور في صورة أخيه « ديفوب » وقالت له :

— أثبت يا هكتور لآخيل ولنحارب به معاً .

فقال هكتور :

يا أعز أخوتي ، يامن خرجت لنجدتي ، على حين ظل الباقون وراء الأسوار . . . أشكرك .

ثم ثبت هكتور لآخيل ، فقفزه هذا الأخير برمحه فأخطأه . فرماه هكتور « بقناته » فلم تنفذ في درعه . إذ ذاك نادى أخاه ليناوله رمحا آخر ، فإذا هو أثر بعد عين . فعلم إن الآلهة قد خيلته له ، ودعته إلى حتفه . ولسكنه مضى في القتال إلى النهاية ، فانتضى حسامه من غمده ، وانقض على آخيل . وكانت بلاس قد أعادت إليه رمحه ، فانهز هذا غرة من عدوه وأغمده في عنقه ، فسقط هكتور صريعاً على الأرض ، فقال الظافر :

— أحسبت أنك آمن مذ قتلت بتروكل ؟ . . . أو ما عرفت أن وراءه صديقاً يأخذ بشأره ؟ ألا فاعلم أن جثتك لسباع الطير ، وجثمانه للتشريف والتكريم .

فقال هكتور ، وهو يعالج الروح ويكابد النزاع :

— أناشدك ألا تدع جثتي للسباع ، وأرددها على أم تذرف

عليها دمة ، وعلى أب يعلى لها قبرا ، فيفدقا عليك ذهباً
تلقاء صنيعك .

فقال آخيل

— لا تغرر بنفسك ، فماتكون جيفتك إلا لسباع السماء ،
وسباع الأرض .

فقال هكتور ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة :

— كنت أعلم أنك غليظ القلب . ولكن لا يلبث باريس
بمعونة أبولون أن يرديك عند أبواب طروادة .

ثم فاضت روحه ، ولكن آخيل قال له رغم ذلك .

— إلى الموت ... وعندما تريد السماء موتى ، فلا مردلقضائها .

ثم جرد آخيل جثة هكتور من سلاحها . وحدثته نفسه بأن
يفتح طروادة في ذلك اليوم ، ولكن الأقدار لم تكن قد قضت
بفتحها حينذاك ، فصرفته عن ذلك إلى التفكير في دفن صديقه ، فأمر
جيشه بالعودة إلى السفن ، فعاد الجيش منشدا أناشيد النصر والظفر .

وثقب آخيل قدمي هكتور وشدهما إلى مركبته بسير من الجلد
(وهو المنطقة التي أهداها أياص إلى هكتور) ، وساقها وهي
تجر الجثة وراءها على الأرض .

ورأت أمه هكوبا هذا المشهد ، فنزعت شعرها ، وملأت الجو

صياحاً وعويلاً ، وتعالى أنين أبيه وتوجعه ، وانفجر الناس حولها بالبكاء ، وشاع الخبر في المدينة ، فقامت فيها مناحة وملاّتها الأحزان والأكدار . وكانت أندروماك بقصرها تشرف على إعداد حمام لزوجها لينزل عن نفسه غبار الحرب حين العودة . ولم تكن قد علمت بالخطب بعد ، ولكن بكاء الناس في الشوارع وصياحهم بلغ سمعها فأفزعها ، فنهضت مسرعة لتستطلع الخبر ، وقالت لوصيفاتها .
 — اتبعننى . . . إن قلبي يحدثنى بنازلة . أسمع صوت أمى ، وأرى قلبي يخفق خفقاناً شديداً . . . أى مكروه وقع . . . أرجو ألا يكون هكتور قد نازل أخيل .

ثم أسرعتم إلى الأسوار ، فلما علتها ، وشاهدت مركبة أخيل تبحر وراءها جثة زوجها . أظلمت الدنيا في عينيها ، وغابت عن وعيها بين ذراعى كاسندرا أخت هكتور ، وحين ثابت إلى رشدها قالت تبكيه وترثيه :

— هكتور يا لحظينا العاثر . لقد ولد كلانا في ساعة نحس ، فيا ليت أمى لم تلدنى . أى زوجى العزيز ، لقد مضيت إلى عالم الأموات ، وتركتنى في عالم الأحياء وحيدة فريدة ، أرملة محزونة . . ومازال ولدك فى مهده تعوزه رعايتك . لسوف يلتمسك فلا يجذك . وإذا قدر له أن ينجو من مخاطر هذه الحرب فسيظل خافض الرأس ،

مستفوح العبرات . ولعله أن يمسد يده لسؤال أصدقائك ، فبرده
البعض قرير العين بالقليل مما يرضى ، ويرده البعض كسيرا مهيبض
الجناح . فإذا عاد إلى أمه ، حين لا تكون إلا أرملة مهجورة ،
ذرف دموعا ثرسه ، لا تستطيع أن تمنعها .

وعهدا به أن تراه بين ذراعى أبيه معززا مكرما . ثم من
للطرواديين بعدك يا هكتور ؟

هكذا رثت أندروماك زوجها . . وكأني بها قد ذرفت دمأ
بعد دمعها .

— ٣٦ —

أحتفل آخيل بدفن صديقه بتر وكل إحتفالا رائعا . وعقدت
مسابقات ومباريات بين القادة والجنود كما كانت تقضى به عادة تلك
الأيام عند دفن عظيم من العظماء ، أو بطل جدير بالتمكريم ، ووزع
آخيل على الفائزين كثيرا من الأسلحة والأسلاب التي غنمها في
غاراته المختلفة .

وعندما أرفض الحفل في المساء ، ظل آخيل يقظا الليل بطوله ،
يمسك صديقه . فإذا كان الفجر ، شد جياده إلى مركبته الحربية ،
وأوثق بها جثة هكتور ، وساقها حول القبر ثلاث مرات ، ثم عاد
إلى خيمته ليستريح . وكان أبو لون قد وقى الجثة بدرعه ، لئلا تهمزق
أسفاقا عليها . وكان الآلهة ينظرون إلى هذا المشهد ، وبهم كثير من

التأثر والشفقة . فتشاوروا فيما يفعلون ليجنبوا جثة البطل الطروادى
مزيذا من غضب الظافر . فخرضوا دهر كير ، رسول الآلهة على
اختطافها . إلا أن جينون وبلاس — وما كان فى وسعهما أن يخففا
من حدة غضبهما على باريس وآله مذ كان حادث النفاحه —
رفضاً أن يكون ذلك ، وشايعهما نبتون . وفى اليوم العاشر أتى
أبولون مجلس الآلهة وقال :

— ما أقساكم يامعشر آلهة الاولمب ؟ أما تذكرن يوم كان
هكتور يقدم لكم الضحايا والقرابين . أو ماترونه جديراً بأن ترد
جثته إلى زوجه وأمه وولده وأبيه بريام ، الذين يتحرقون شوقاً إلى
تأدية واجبات دفنه ، وتشجيعه إلى مقره الأخير . إن آخيل يصم
أذنيه عن العدالة ، ولم يعد بقلبه أى شعور من الحياء . وإذا لم
يستح الإنسان ، كان له أن يصنع ما يشاء .

فقال جوهر :

— إن هكتور أعز البشر عند الآلهة ، وسنقوم بحالة بما
نراه حقاً له عندنا . اذهبي يا إريس إلى تيتيس فاستدعيها .
أسرعت إريس كالعاصفة إلى تيتيس فاستدعتها ، فأقبلت
محزونة لأنها كانت تديم التفكير فى إقتراب أجل ولدها ، فقال
لها زوس :

— أَسْتَدْعِيكَ يَا تَيْتِسُ مَعَ أَحْزَانِكَ الَّتِي أَعْلَمُ مَصْدَرَهَا .
وَذَلِكَ لِتَتَصَلَّى بَوْلَدِكَ وَتُكَلِّفِيهِ مِنْ قَبْلِنَا بِأَلَّا يَسْتَرْسَلَ فِي غَضَبِهِ ،
وَبَأَن يَرُدَّ جِثَّةَ هَكْتُورٍ إِلَى أَبِيهِ ، وَسَأَبْعُثُ إِيرِيسَ بِدَوْرِي إِلَى بَرِيَامَ
لِيَذْهَبَ إِلَيْهِ مَلْتَمَسًا وَلَدَهُ . وَفِي الْحَالِ قَصَدْتُ تَيْتِسَ وَلَدَهَا وَأَبْلَغْتَهُ
الرَّسَالَةَ الْإِلَهِيَّةَ . وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ طَارَتْ إِيرِيسُ إِلَى طُرُوَادَةَ ،
فَوَجَدَتْ بَرِيَامَ جَالِسًا بَيْنَ أُنْبَنَائِهِ فِي فَنَاءِ قَصْرِهِ ، وَهُمْ يَبْلُلُونَ الثَّرَى
بِمَدَامَعِهِمُ الثَّرَاةَ الْمَنْهَلَةَ ، فَأَقْتَرَبْتُ مِنْهُ وَظَهَرَتْ لَهُ وَحْدَهُ ، فَأَخَذَتْهُ
رِعْشَةً ، فَقَالَتْ لَهُ :

— لَا تَخَفْ يَا بَرِيَامَ . ، مَا جِئْتُكَ بِمِحْنَةٍ جَدِيدَةٍ . وَلَكِنِّي
مُبْعُوثَةٌ مِنْ قَبْلِ زَوْسَ لَا كُفْلَكَ بِالذَّهَابِ إِلَى آخِيلَ لِإِفْتِدَاءِ وَلَدِكَ .
اذْهَبْ إِلَيْهِ غَيْرَ مَصْحُوبٍ إِلَّا بِأَحَدٍ حِجَابِكَ لِيَقُودَ مَرْكَبَتَكَ . وَاعْلَمْ
لَنْ آخِيلَ إِذَا رَأَاكَ سَيُوقِرُكَ ، وَيُعْطِيكَ حَقْمًا مِنَ الْإِحْتِرَامِ ، وَلَنْ
يَسْعَهُ إِلَّا الْعُطْفُ عَلَى مَلِكٍ مُتَضَرِّعٍ .

قَالَتْ ذَلِكَ ثُمَّ حَلَقَتْ فِي الْجَوِّ . فَلَمَّا جَنَّ الظَّلَامُ ، قَامَ بَرِيَامُ فَاخْتَارَ
مِنْ خَزَائِنِهِ أَغْفَرَ الْأَثْوَابِ ، وَأَمَرَ بِإِعْدَادِ مَرْكَبَتِهِ ، وَاسْتَصْحَبَ
حَاجِبَهُ أَبِدُوسَ . وَفِيمَا هُوَ يَهْمُ بِالرُّكُوبِ ، رَأَتْهُ زَوْجَتُهُ هَيْكُوبَا
فَبَكَتْ وَقَالَتْ لَهُ :

— أَيْنَ سَدَادُ رَأْيِكَ الَّذِي اشتهرت به يوماً ؟ أَيَذْهَبُ الْإِنْسَانُ

بنفسه إلى معسكر أعدائه لمقابلة قاتل ولده ؟ أما تخاف أن يلحقك بولدك ؟ . آه لو استطعت لقرضت قلبه بناجذى . . لا تذهب ودعنا ههنا نعالج أحزاننا في هدوء .
فقال بريام :

— دعيني أذهب ، فما عاد يهمني موتى من حياتى . وليسذبجنى أخيل على أن أضم جثمان ولدى بين ذراعى . ولكن لك أن تهدنى روعك ، فالآلهة هى التى أشارت على بالذهاب .
ثم صعد بريام وحاجبه إلى المركبة وانطلق إلى شوارع المدينة يشيعه أبنائه وشعبه حتى أبوابها ، ثم عادوا ، وسارت العربى فى المروج يقودها الحاجب بمهارة وحذر .

ورأى جوبتر ، رب السحب القائمة والصواعق والبروق ، بريام وحاجبه قائدين المركبة بين السهل والوعر ، فأشفق على الملك المنكوب ، وقال لولده « مركب » .

— اذهب وكن دليل بريام حتى ينفذ إلى خباء أخيل ، دون أن يراه أحد من الإغريق .

فارتدى مركب فى الحال حذائيه المجنحين ، وتناول عصاته السحرية ، ثم شق الفضاء إلى شواطئ الهلسبوننت ، وتقدم ناحية بريام فى صورة حدث بأسر الالباب بحسنه ، فرآه الحاجب فقال

للملك أرى محاربا مقبلا سيكون خطرا علينا بلا شك . هلم فلنسرع .
فارتجف بريام ، واستحوذ عليه الرعب ، ووقف شعر رأسه .
ولكنه اطمأن حينما خاطبه مكرير قائلا :

— يا أبتاه . . إلى أين أنت ذاهب بهذه الجياد في ظلام الليل
وبرده ، والبشر جميعهم نيام في هذه الساعة ، إلا من أرقه هم من
الهموم أو مقصد من المقاصد ؟ اما تخاف الإغريق وهم أعداؤك
الذين تحالفوا على خرابك ؟ . . إن أحدهم إذا رآك وأنت ماض
بهذه الطرف وهذه النفائس لسال لعابه ، وجعلك هدفا لأعدائه .
ولكن لا تخف . أنا قائدك إلى حيث أردت ، وما أراك في سنك
إلا كأي .

فقال بريام :

— حق ما تقول يا ولدى . ولكن الآلهة ساهرة على مادامت
قد أرسلتك لمعونتي .

فقال مكرير :

— حقا إن الآلهة ترعاك . ولكن أصدقني القول ، إلى أين
أنت ماض بهذه النفائس ؟ . أفارون أنتم من طروادة مخافة اقتحامها
بعد مقتل هكتور العظيم .

فقال بريام :

— ومن أنت أيها النبيل ، يا من تذكر ولدى ؟ .. أو رأيته

قبل مقتله ؟

فقال مركير :

— أنت بريام إذن ؟ .. أجل رأيته مراراً حين بلغ أوج بطولته ، وهو يسوق الإغريق إلى سفائنهم ، ويشدد عليهم الخناق . كنت إذ ذاك لا أشترك في القتال لأنني « تسالي » أحد أتباع أخيل .

فقال بريام :

— ما دمت تنتمي إلى هذا البطل ، أفتعلم ما صنع أخيل بجثمان ولدى ؟

فقال مركير :

— ولدك الآن راقد إلى جانب خباء أخيل منذ اثني عشر يوماً . وجثته لم يتطرق إليها الفساد . وأخيل يحرقها في كل صباح حول قبر صديقه ، دون أن يصل إلى تغيير معالمها ، لأن الآلهة تحوطها برعايتها ، فصانت جماله وطراة بشرته . بل لقد اختفت دماء جروحه .

عندما سمع بريام هذا القول انشرح صدره ، وقال ليس من عجب في ذلك ، وكثيراً ما ذكرها ولدى في معابدها وخصها بالقرايين . ثم مدّ يده بكأس ذهبية إلى « مركير » ، راجيه أن يتقبلها هدية منه .

فقال مركير :

— ما أحب أن آخذ منك شيئاً بغير علم أخيل . فإنى أكن له من الاحترام والهيبة ما يجعلنى أمتنع يدي عما هو مخصص له . ومع ذلك سأكون رفيقك ودليالك إليه . فإنه يخيل إلى أنك ذاهب لاسترداد ولدك .

ثم صعد مركير إلى المركبة وأخذ اللجسم والسوط ، وقاد العربة بنفسه حتى وصل إلى معسكر الإغريق ، فوجد الجنود إيقافا ، فبعث النوم إلى جفونهم فداعبها . ثم أزال الحواجز وفتح الأبواب وأوصل المركبة إلى خباء أخيل . وقال لبريام .

— الآن انتهى دورى .. أنا مركير رسول جوبتر ، بميثك بأمره لمعاونتك ، وما باستطاعنى الظهور أمام أخيل ، لأن الآلهة لاتساعد البشر بهذه الصراحة . ولكن اذهب أنت وتوسل إليه ، وقبل ركبتيه ، وذكره بأبيه لتهز مشاعره .
ثم إختفى مركير .

فدخل بريام وحده إلى خباء أخيل ، تاركا حاجبه بمركبته . وكان أخيل قد انتهى من عشاءه ، فتقدم إليه وجثا أمامه على ركبتيه ، وقبل يديه المملختين بدم أبنائه ، فظهرت إمارات الدهش على وجه أخيل ، وعلى كل من كان إلى جواره ، ولكن بريام قال :
— أذكر أباك يا أخيل ، إنه مثلى قد علمته كبرة ، ونزل به

الضعف . ولعله الآن مهدد من جيرانه ، ولا يجد من يخفف إلى نجده .
على إنه يعلم أن ولده حي يرجى . ولكن أنا الشقى البائس قد
فقدت أحسن أبنائي : هكتور الذى قتلته ، وهو يدافع عن وطنه .
ومن أجله خاطرت بنفسى ، وجئت إلى سفنكم . فأتوسل إليك أن
تشعر قلبك الرحمة بي . فما أظن فى الدنيا أحداً قبلى أقدم على لثم
يد وatreه وقاتل ولده ، ورهقه ما يكون فى ذلك من ألم .

أثار هذا القول ذكريات جمّة بنفس آخيل . فتذكر أباه
وضعفه ، وتذكر ماسيكون حال أبيه عندما يحين يومه . فأنهض
الشيخ بلطف ورفق ، وبكى معه . ثم قال آخيل فى آخر الأمر ،
وهو معجب بملك طروادة متأثر بشيخوخته :

— أيها الشيخ .. إن قلبك قد قدّ من حديد ، وإلا لما جئت
إلى قاتل ولدك . ولكن اجلس ودع البكاء والأحزان . فالدنيا
خليط من مسرات ومكاره ، ومزيج من مر وحلو . والواجب أن
يوطن الإنسان نفسه على ما عساه أن يصادف فيها . ولا تحسبك انفردت
بالتعاسة ، فهناك أبى قد أمدته الأقدار بكل ما يجعل الإنسان عزيز
الجانب ، على القدر . ومع ذلك قضت أن يحرم فى شيخوخته من
ولده الوحيد ، اذ لا ألبث أن أموت عما قليل . كذلك أنت ،
فيما حدثت ، كنت ملكاً عريض الجاه ، وكان ملكك يمتد من

ليسبوس إلى ضفاف الهلسبوننت ، فإذا بك قد فقدت اليوم أكثره ،
وأضحت مدينتك مهددة بالسقوط . لماذا إذن البكاء ، وعلام إذن
الاحزان ، وحال الدنيا على ماترى من فهاة وقلة وضوولة ؟

ثم قام آخيل ، وخرج مستصحبا بعض أعوانه ، وذهب إلى
جثة هكتور فأمر بفسلها وتخيطها ، ثم وضعها على المركبة ، وغطاها
بشوب من الثياب التي أحضرها بريام مع النفائس ، وحمل الباقي إلى
خيمته ، ثم ذبح شاة وأعد طعاما لضييفه المنسكوب في ولده ووطنه ،
ثم قدمه إليه قائلا :

— هذا قرى لك فكله . . . إنك ضيفي . ولك في الصباح أن
تستصبح جثمان هكتور ، وسأمنع القتال عشرة أيام حتى تؤدى
واجبات دفنه .

... ما يمنع ذلك من أن تؤدى حق بطنك عليك . فما امتنعت
« نيوية » ملكة ثيبا التي كانت تناول الإلاهة « لاتون » وتسخر
منها ، عن تناول الطعام برغم مقتل أبنائها وبناتها الأربعة عشر
بيد ديان وأبولون ، إئتاراً لأمهما ؛ وإن كانت الاحزان قد أحوالتها
إلى صخرة في نهاية الأمر .

فنهض بريام إلى المائدة يتوكأ على يد آخيل ، وهو معجب بنبل
مظهره ، وتناول مع حاجبه نصيبا من الطعام ، حتى إذا انتهى من

ذلك ، أعد له فراشا ليأخذ نضيبا من الراحة على أن يرحل في مطلع
الفجر . ونام بريام ، واستطاب النوم ، لأنه كان منهوك القوى ،
محروما من الراحة منذ قتل ولده . ولكن مركير خاف أن يمتد
نومه فتسوء العقبي ، فجاءه ومال على رأسه ثم قال :

— أيها الشيخ . . . إنك لا تفكر في المخاطر التي تهددك ، فخذ
استقبلك آخيل بالحفاوة والتكريم وأنت تطيل في نومك بين
أعدائك . لقد كلفك ولدك فدية جسيمة ، فإذا وقعت بين يدي
أجمعنون كلفت ما بقي من أبنائك عشرة أضعاف ما أحضرت
لآخيل حتى تفقدى .

سمع بريام هذه الأقوال ، فقام مفزوعا ، وأيقظ حاجبه :
وكان مركير قد أعد المركبة وعليها جثمان هكتور . وتولى القيادة
من جديد مخترقا المعسكر ، دون أن يهيء لأحد من الإغريق أن يرى
الطرواديين . وحيز وصلوا إلى نهره إجزانت المشهور بجمال مجراه ،
نشر مركير جناحيه ، وطار نحو الأولمب . وكان الفجر آخذا في
الانبثاق ، والملك وحاجبه مسترسلين في التفجع والتوجع ، والجياد
مظأطة الرأس ، تجر الجثة وراءها ، وهي تتقدم نحو المدينة ، حتى إذا
بلغت أبوابها والباس نيام ، شعرت بها كاستندرا — وكانت وحدها على
الأسوار ، تراقب عودة أيها — فأعولت ، وصاحت ، حتى أقبل

الناس على صياحها وعويلها من كل فج ، وسمعوها وهي تقول
بصوت يفتت الأكباد :

— يا أهل طروادة . كنتم تخرجون للقاء هكتور ظافراً ،
فاخرجوا اليوم للقائه محمولا على نعش .
فعلا نحيبهم وعويلهم ، وتقاطروا حول المركبة حتى عاقوا
طريقها وعذروا مسيرها . فأمرهم بريام بإفساح طريق لها . وأخيراً
وصلت المركبة إلى فناء القصر ، ووضعت الجثة على سرير ، وأخذ
المرتلون يرفعون أصواتهم بالمرثى المحزنة بين الأنين ، والزفرات ،
والنحيب .

ولما رأت أندروماك جثمان زوجها قالت :

— أهكذا غادرتي أرملة محزنة ، لا أمل لي في أن أرى ولدي
كبيراً ، إذ لا تلبث طروادة أن تسقط ، فيعندى على حياته معتد ،
كنت واثرة .

ومن يدرى لعل أساق إلى الأسر أمة ذليلة . . واهكتوراه ،
إذا بكنتك المدينة لأنك كنت حامى زمارها ، ولا تلبث أن تسقط
من قمة عظمها ، فيني أكثر أهلها بكاء ، وأشد هم توجعاً ، لأنك
كنت زوجي ، وحامى ، وحبيب القلب معا ، ولأنك لم تجدني
إلى جوارك ساعة موتك ، فأغمر عيني ، وأشد على يديك ،

وَأَسْمِعْ كَلِمَاتِكَ الْآخِرَةَ ، فَأَهْتَدَى بِهَا وَأَجْعَلْهَا نَبْرَاسِي مَا عَشْت ...
أَسْفَاه .. أَسْفَاه

ثُمَّ قَالَتْ هَيْكُوبَا مُسْتَعْبِرَةٌ بِأَكِيَّة :
— مَا أَشْكُ يَا وَلَدِي ، يَا مَنْ جُفَعْتِي وَثُكَلْتَنِي ، فِي إِعْزَازِ الْآلِهَةِ
أَلَاكَ مَيْتًا ، إِعْزَازَهُمْ لَكَ حَيًّا . وَإِلَّا لِمَا عَادَ إِلَيْنَا جَنَانُكَ ، لِيَحْظِيَ
بِالتَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ .

وَقَالَتْ هِيلَيْنَ وَجَفُونَهَا مَخْضَلَةٌ بِالدَّمْعِ :
— لَيْتَنِي مِتَّ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ سَبِيحًا فِي جُفِيَّةِ أَهْلِكَ فَيُكَيِّدُكَ يَا هَكْتُورُ ،
وَقَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ أَخْلَاقَكَ الدَّمِيَّةَ . يَا مَنْ كُنْتُ صَدِيقًا ، وَقَدْ عَزَّ
الصَّدِيقُ . يَا مَنْ كُنْتُ مُحْسِنًا إِلَيَّْ ، وَقَدْ عَزَّ الْمُحْسِنُ . يَا مَنْ كُنْتُ
مُتَحَامِيًا مَلَامَتِي كَأَيِّكَ ، دُونَ الْأَهْلِ جَمِيعًا ، وَكُنْتُ أَنَا نَفْسِي
أَرَانِي مَوْضِعًا لِلْمَلَامَةِ .

وَكَانَ الشَّعْبُ يَتَجَاوَبُ مَعَ هَاتِيكَ الرَّائِيَّاتِ النَّائِحَاتِ ، وَالْعَبْرَةِ
تَبْعَتِ الْعَبْرَةَ . وَلَسَكُنَ السَّاعَةُ أَذْنَتْ آخِرًا بِالتَّهَيُّؤِ لِدَفْنِ هَكْتُورِ ،
فَدَفِنَ بِالتَّكْرِيمِ مِنْ شَعْبِهِ ، وَشِيدَ قَبْرَهُ عَالِيَا شَانَخَا .

— ٣٧ —

عَقَدَ الطَّرِيقَ وَادِيُونَ مَجْلَسًا اسْتَشَارِيًا لِلنَّظَرِ فِيمَا هُمْ فَاعِلُونَ ، أَوْ اصْلُوحُونَ
الْحَرْبَ أَمْ يَرُدُّونَ هِيلَيْنَ وَالْغَنِيمَةَ إِلَى الْإِغْرِيقِ مَعَ تَعْوِيضٍ مُنَاسِبٍ ؛

واختلفوا في هذا ، وذهب كل منهم إلى رأى . وأشار بعضهم
 بالألا يلجأ الطرواديون إلى هذا أو ذاك ، ولكن يجلبون عن الوطن
 ويحبون أنفسهم ماعسى أن ينالهم من آخيل ، وهو ، على ما يعلنون ،
 لا ضريب له في فنون القتال . ولكن بريام سفه هذا الرأى ، وقال
 إن الوطن عزيز ، والجلاء لا يشير به عاقل ، ولكن نضل إليه مدافعين
 حتى نفوز بالنصر شرفاء ، أو نبوء بالهزيمة شرفاء . فقال بوليداماس ،
 الذى سبق أن أشار على هكتور بالاحتفاء بأسوار المدينة اتقاء
 لآخيل ، إنه يجهد هذا الرأى ، ولكنه يؤثر ردهيلين ومصالحه
 الهيلانيين . فلما سمع باريس ذلك منه ، قال حانقا غاضبا :

— أيها الجبان . . . ما أشرت إلا بما يكشف عن خور
 عزيمتك ، على حين لا يكون شرفنا وعزتنا إلا بمواصلة القتال .
 فقال بوليداماس :

— أيها الأمير البغيض ، لو أحسنت لما أسمعت صوتك ، لأنك
 سبب كل هذه النكبات والنوازل التى تنزل بوطنك .

شعر باريس بما فى قول بوليداماس من حق ، فلم يجر جوابا .
 ولكن تغلب رأى القائلين بامساك هيلين والدفاع عن المدينة ،
 وإن كانت النتيجة انكسارا . لأن الانكسار فى مواطن الشجاعة

والنود عن الأوطان ، مفخرة يتحدث بها التاريخ . هذا فضلا عن
أن بريام كان ينتظر إمداداً من ممون ، ابن أخيه ديتون ، ملك
مصر وأثيوبيا . وهو بطل قد باستطاعته أن يثبت لآخيل ،
ويصد مخاطره عن طروادة ، خاصة وإنه إلهي المولد مثله ، إذ أن
أمه إلهة الفجر .

بات الطرواديون إذن يترقبون مقدم أمير مصر ، وهم متحصنون
بالمدينة ، ولم يمض إلا قليل حتى كان ممون بها على رأس جيش
من الجنود السود . إذ ذاك دبت الشجاعة في نفوس الطرواديين ،
وخرجوا إلى ميدان القتال ، إلى جانب حلفائهم الأثيوبيين ، بقيادة
هذا الأمير الذي أظهر من ضروب الشجاعة ما أعاد إلى ذاكرة
الجنود بطولته هكتور ، وأيام مجده ، وصولته . فازدادت حماسهم
وأعجزوا اليونان حيناً من الدهر .

وفي إحدى المواقع ، بينما كان ممون في جانب من ميدان القتال
يذيق كثيراً من الهيلانيين كأس الردى ، كان كذلك آخيل في جانب
آخر يورد كثيراً من الطراديين موارد الحثف . واستطاع ممون أن
يقتل أنتيلوكاس بن نستور . فحزن أبوه لمقتله حزناً شديداً ، وتقدم
لمنازلة قاتل ولده ، فعرف فيه ممون صديقاً قديماً لأبيه ، فتلطف

معه ، وحذره من الإصرار على منازلته ، فلم يسمع نستور إلا التنجي
عن قتاله ، واستنجد بأخيل .

جاء أخيل لملاقاة ممون ، فقاومه هذا مقاومة شديدة ، وأظهر
لأنه من فصيلة الأبطال الجديرة بالإعجاب والتقدير . واسكن ساعة موته
كانت قد أذنت ، فسقط صريعا بجسام ابن بليوس . فلات أمه (أيوس)
إلهة الفجر الدنيا عويلا وصراخا ، وأشاعت الظلام في جميع السهل ،
ثم اختطف جثمان ولدها ، ودفنته على ضفة الهلسبونت ، وذهبت
إلى زوس مولهة ، محزونة ، مسفوحة العبرات ، وسألته أن يميز
قبر ولدها عن قبور البشر ، فأمر أسراب الطير ألا تغادره على
المدى ، وأن تنشر عليه من أجنحتها ظلا ظليلا ، وأن تؤنس وحدته
بغنائها وشدها . ولكن «الفجر» لم تجد في هذا عزاء عن فقد
ولدها ، فأخذت ، منذ ذلك الوقت ، تسفح عبراتهما في أنداء
الصباح . ولكن قومه أقاموا له تمثالا في صعيد مصر ، كلما طلعت
عليه الشمس أسمع من الأصوات ما يشبه الموسيقى . وكانى به
يواسى أمه المحزونة ، وهى مولية عن العالم في باكورة كل يوم .

بعد مقتل «ممنون» فزع الطرواديون والاثيوبيون فزعا شديداً ،
ولم يثبتوا لآخيل الذى استوحش في قتاله . فحيل إليه أن ساعة

سقوط طراودة قد حلت . فأنجه إلى باب المدينة الرئيسي مطارداً
الفارين المدبرين . فرماه باريس بسهم مسموم من فوق أسوار المدينة
أصاب كعبه — مقتله الوحيد — فأرداه قتيلًا .

إذ ذاك حاول الطرواديون الاستيلاء على جثته ، فدافع آياس
الأكبر وأودسيوس عنها دفاعاً مجيداً . واستطاع أودسيوس أن يحمل
الجثة على عاتقه في آخر الأمر ، مولياً عن حلبة القتال ، بينما كان
آياس يندود عنه هجمات أعدائه . وكان حزن الإغريق عليه بالغاً .
ونزلت أمه الإلاهة تيتيس ، فترعمت الاحتفال بمدفنه . وأقامت
على قبره ما جرت العادة بإقامته على قبور الأبطال من مسابقات
ومباريات . ووزعت كثيراً من أسلحته على المتبارين . ولما أرادت
أن تخص بعضهم بسلاحه ، تنازعه آياس الكبير وأودسيوس ،
وجرت بينهما مفاخرة ، فأخذ كل منهما يعدد مناقبه ، ويصور
مقدار الخسارة التي أنزلها بطراودة .
وأخيراً حكم الحضور لأودسيوس بسلاح أخيل ، فاغتم آياس بن
تيلامون ، وقتل نفسه بالحسام الذي أخذه هدية من هكتور
يوم نازله .

استعصى بعد ذلك فتح طراودة ، وثبتت للعدو سنوات عدة ،

كان فرهاش بن آخيل من «ديداميا» ابنة ليكومود ملك سيكروس ،
 قد شب خلالها ، وملاً فراغ أبيه في الجيش المغير الذي صبر على
 حصار طروادة هذا الزمن الطويل ، كما كان باريس قد صادف
 حقه .

وبينما كان أودسيوس يتجول — ذات يوم — بجانب أسوار
 المدينة المحاصرة بعيداً عن معسكره ، صادف شخصاً عند جبل «إدا» ،
 فطارده حتى تمكن من القبض عليه ، وعلم منه إنه الأمير
 هليئاس بن بريام عراف طروادة ، فأخذ يستدرجه في الحديث حتى
 علم منه أن مدينة أبيه لا تفتح إلا إذا استبعد تمال الإلهة «منيرفا»
 من معبدها ، وأخرج خارج المدينة . فوعى أودسيوس ذلك ، وأخذ
 يديم فكره فيه ، حتى إذا كان ذات مساء ، تنسك في ثياب متسول ،
 ومضى برفقة ديوميئد إلى أسوار طروادة . وهناك اختفى ديوميئد
 في مكان بعيد عن الأنظار . وذهب أودسيوس إلى أبواب المدينة ،
 فلما شاهده حراسها لم يلقوا إليه بالا ، وتركوه يمضي إلى داخلها .
 وهناك أخذ يستجدي الناس إمعاناً في التنسك وتضليل الأنظار
 عنه . وأخذ يتجول في شوارع المدينة ، التي كان يعرفها منذ وفد إليها
 أول مرة سفيراً بشأن استرجاع هيلين . فلما بلغ باب معبدها حيث
 يوجد تمال منيرفا ، أخذ ينعم النظر في جدرانها . وفيما هو يهم

بدخوله ، إذا هيلين منطلقة منه بعد الصلاة للإلاهة ، فعرفت في الشجاذ أودسيوس ، وأدركت حروجه مركزه وما يكتنفه من مخاطر ، فأشارت إليه بأن يتبعها إلى بيتها . وحين بلغاه ووجهه ، أوصدت هيلين الباب بإحكام ، ثم قالت :

— ما أشد جرأتك يا أودسيوس . إنك هنا في خطر ، ولكن لا بد وراءك من خطة مرسومة تسير وفقها . هل الجيش أت لفتح طروادة ؟ . ثم ماذا عن ميثاس ، أبيضمرلى شرا ، أم تراه غافرا لي زلتى ؟ . . . إن كانت الأولى آثرت الموت قبل أن يبطأ أرض طروادة .

فقال أودسيوس :

— أولى لك أن تكوني حيث يميل بك الأمل . ولكن تسأليني عن فتح طروادة فأجيبك بأن فتحها متعذر ما دام تمثال منيرفا ، بمعبدها . ولهذا جمعت . جئت لاستخراج هذا التمثال من المعبد ، وحمله إلى خارج المدينة . وقد تركت ديوميدي في مأمن خارج الأسوار ، فإذا مددت اليدينا ، وعاونتني على إدخاله ، أمكن أن تغلب معاً على حراس المعبد .

فقالت هيلين :

— أنتى يونانية أولاً وأخيراً . ويسرني أن أكون ذا فائدة

لما ، وإن كنت لأعلم ما سيكون مصيرى يوم تقع المدينة فى أيديكم ،
 ويدخلها منليماس ظافرا . آه . . ليتنى مت قبل أن أغادر إسبرطة ،
 وأستجيب لغواية باريس . . ولكن هلم . . لأن الظلام قد لدهم ،
 وسيكون معوانا لك ولديوميد فيما أتما بسبيله .

ثم انطلقت هيلين ، ومعها أوديسيوس إلى الشوارع ، ومنها
 إلى باب خلقي فى الأسوار ، فأدخلت منه « ديوميد » إلى المدينة ،
 واقتادته وأوديسيوس إلى المعبد ، ثم عادت إلى بيتها .
 وتمكن البطلان من اقتحام المعبد ، وسرقة التمثال بعد قتل
 حارسه ، وتسلا إلى خارج المدينة من بابها الخلفى الذى دلتها
 عليه هيلين .

وعند ما أصبح التمثال فى حوزة الإغريق ، تيقنوا أن المدينة
 لا تلبث أن تكون مدينتهم . ولكن الكاهن كلكاس تنبأ بأن القوة
 لن تكون وسيلة لهم إلى ذلك ، وأن الحيلة أجدى عليهم فى هذا
 الشأن . ففكر أوديسيوس حتى هداه الفكر إلى حيلة بارعة ، وعرض
 فكرته على الزعماء قائلا :

— نبتنى جوادا ضخما من الخشب ، ونعده لاستقبال عدد كبير
 من رجالنا الأفذاذ ، ثم نحرق خيامنا ، ونقلع بسفننا إلى جزيرة

تينيدوس ، وفتح إلى جوار الجواد رجلا غير معروف من
الطرواديين ، بعد أن فكبل يديه بالقيود . فإذا ألقينا بالسفن ،
جاءه الطرواديون متسائلين عن أمر الجواد وعن أمره . . . فينهى
إليهم أننا قد صنعنا الجواد ترضية لمنيرفا التي غضبت لسرقة تماثيلها ،
وأنا غاضبون عليه ، فأردنا التضحية به ليعود الأسطول سالما إلى
الأوطان ؛ مثلما ضحينا بأفيجينيا عند أوليس في مبتدأ الحرب ؛
فأمكنه مغافلتنا والفرار منا ؛ فإذا كان بارعا في قصته ، صدقه أهل
طروادة ، واستأمنوه وأدخلوا الجواد إلى مدينتهم ؛ ومتى أنس
غفلة منهم في الليل — وهذا ما سيكون قطعاً — فتح لرجالنا ،
فيقتلوا حراس الأسوار ؛ ويشعلوا نارا بأعلى برج فيها إبدانا
للأسطول بالاقتراب ومداومة المدينة .
فقال الزعماء :

— نعم الرأي رأيك ؟

ثم أمر أجمنون بجمع الأخشاب من غابات « إدا » ؛ وكلف
مثالا ماهرا يدعى « إيبوس » بصنع الجواد فجاءته منيرفا في الحلم ؛
وأرشدته إلى كيفية صنعه ؛ وقدمت له نموذجاً للاسترشاد به ، وجد
الجميع في مساعدته حتى أنجز عمله . . . فإذا للهيلانيين بعد فترة وجيزة
من الوقت جواد ، من رآه حسب ضرورة حية ، لا تماثلاً مصنوعاً .

وعندئذ قام أوديسيوس خطيباً وقال :
 — لم يعد أمامنا إلا أن نستولى على طروادة أو نموت . هلم
 فلنتم ما بدأنا :
 فما سمع الهيلانيون قوله ، حتى انتخبوا من بينهم أشدهم بأساً
 وأكثرهم خبرة كأوديسيوس نفسه ، ومنلياس ، وأياس الأصغر ،
 وفرهاش بن أخيل ، وفلسكتوتيس ، وغيرهم . . فوضعوا سلا
 صعدو عليه إلى بطن الجواد ، وأحكموا إغلاقه من الداخل .
 ثم أحرقت الخيام ، وترك «سنيون» متطوعاً إلى جانب الجواد .
 وأقلعت السفن .

— ٣٩ —

عندما تطلع أهل طروادة من كوى أبراجهم ، فرأوا أسطول
 العدو مقلعاً ، ظنوا أنه أنصرف عنهم ، وأن خطره زال إلى الأبد ،
 فانطلقوا إلى خارج الأسوار ليشاهدوا هذا التمثال الضخم الذي
 تركوه وراءهم ، فعثروا «بسينون» الذي قص عليهم القصة الموضوعة
 ببراعة وحذق ، فصدقوها ، ورغبوا في الاستعاضة عن «البلاديوم»
 بتمثال الإلهة المفقود بهذا التمثال الرائع . فأخذوا يعملون على إدخاله
 إلى المدينة ، ولكنه كان من الارتفاع بما عذر عليهم ذلك . فهدموا
 قبوة أحد الأبواب ، وأدخلوه ثم ذهبوا به إلى معبد «منيرفا» ،

ونصبوه في ساحته ، واعتبر الطرواديون هذا اليوم عيداً قومياً .
وأخذت المدينة تنأهب للاحتفال به ، فأقيمت الزينات ، ورفعت
الرايات ووضعت جانباً أسلحة الحرب وعدتها .

ولما كان الليل ، اكتظت الشوارع بالراقصين والراقصات ،
وتعالت دقات الموسيقى ، وأمعت المدينة في أخذ حظها من السرور ،
وأسرفت في الشراب ، وأكثرت من اللهو ، وأشرکوا معهم «سينون»
محتفلين به مرحبين ، إلى أن انقضى الليل إلا أقله . إذ ذاك هدأت
المدينة ، وخيم عليها السكون ، واحتواها النوم في أحضانها .

ولكن فرداً واحداً كان يقظاً ساعراً مترقباً الفرصة السانحة ،
فأذا هي تلوح له في مقرب الفجر . فلم يتمهل ، وذهب في الحال
إلى أعلى برج في المدينة ، فأشعل النار ، وقصد بعد ذلك إلى تمثال
الجوادر فنادى أوديسيوس وزملاءه بالنداء المنفق عليه ، ففتح
أوديسيوس كوة وأطل منها ، فلما استيقن من خلو المكان من الناس إلا
من المنادى ، أخرج مسلماً من بطن الجواد ، ودلاه إلى الأرض وهبط
عليه ، وتبعه زملاؤه . وفي الحال شهروا سلاحيهم ، وتفرقوا في
أنحاء المدينة لأعمال القتل وإشعال الحرائق . ولم يلبث رجال الأسطول
أن انضموا إليهم .

وشعر إنياس البطار الطروادي بالعدو الجاثم على صدر المدينة ،

فقام يدافع عنها دفاع المستيأس، على رأس كتيبة من جنوده، ولكنه غلب على أمره، وفر رجاله، فلم يسعه إلا الهرب، فحمل أباه أنشيز على عاتقه، وأخذ ولده « إسكانيوس » بين ذراعيه، وخرج من أبواب المدينة على مشهد من رجال العدو الذين عشت أمه أفردت أبصارهم، وأعجزتهم عن رؤيته. ثم أبحر فيما بعد إلى الغرب حيث أنشأ مدينة رومة. وفي هذه الأثناء كان أوديسيوس ومنلياس آخذين طريقهما إلى بيت هيلين، حيث كانت تقطن مع « ديفوب » بن بريام منذمات أخوه باريس. فمرا في سبيلهما على بيت أنثينور، وكانا لا يزالان يذكران حسن استقباله لهما عندما وفدا إلى المدينة فقيرين باديء ذي بدء، فوضعا عليه علامة لتحذير أعوانهم من التعرض لصاحبه بسوء. وبين دخلا بيت « ديفوب » - وكان إذ ذاك تامنا - شعر بهما فقام يدافع عن نفسه ببطولة إلا أن منلياس عاجله بضربة قاضية على مشهد من هيلين. وكانت هيلين في حالة فزع ورعب. فلما تقدم منلياس شاهرا حسامه في وجهها ليقضى عليها، صاحت صيحة هزته، وحركت في نفسه عوامل الإشفاق. فترث في قتلها، ولكنه حين نظر إليها، واستتبع النظرة النظرة، ذكر ماضيه معها وحن إلى هذا الماضي. ومالبت روعة ملاحظتها أن أشعرته بعجزه عن قتلها، وأنسته مساوئها،

فألقى حسامه على الأرض ، وأخذها من يدها برفق ثم مضى
في سكون .

حدث ذلك ، بينما كان فرهاش بن آخيل في مكان آخر يقتاد
أندروماك إلى سفائه ، بعد أن قتل بريام ملك طروادة .

محمد حسني عبد الله

مدرس بالأورمان الثانوية الفنية

انتهت

(صورة الغلاف) تمثال برنزي لمركب بحذائيه المجنحين وعصاته السحرية

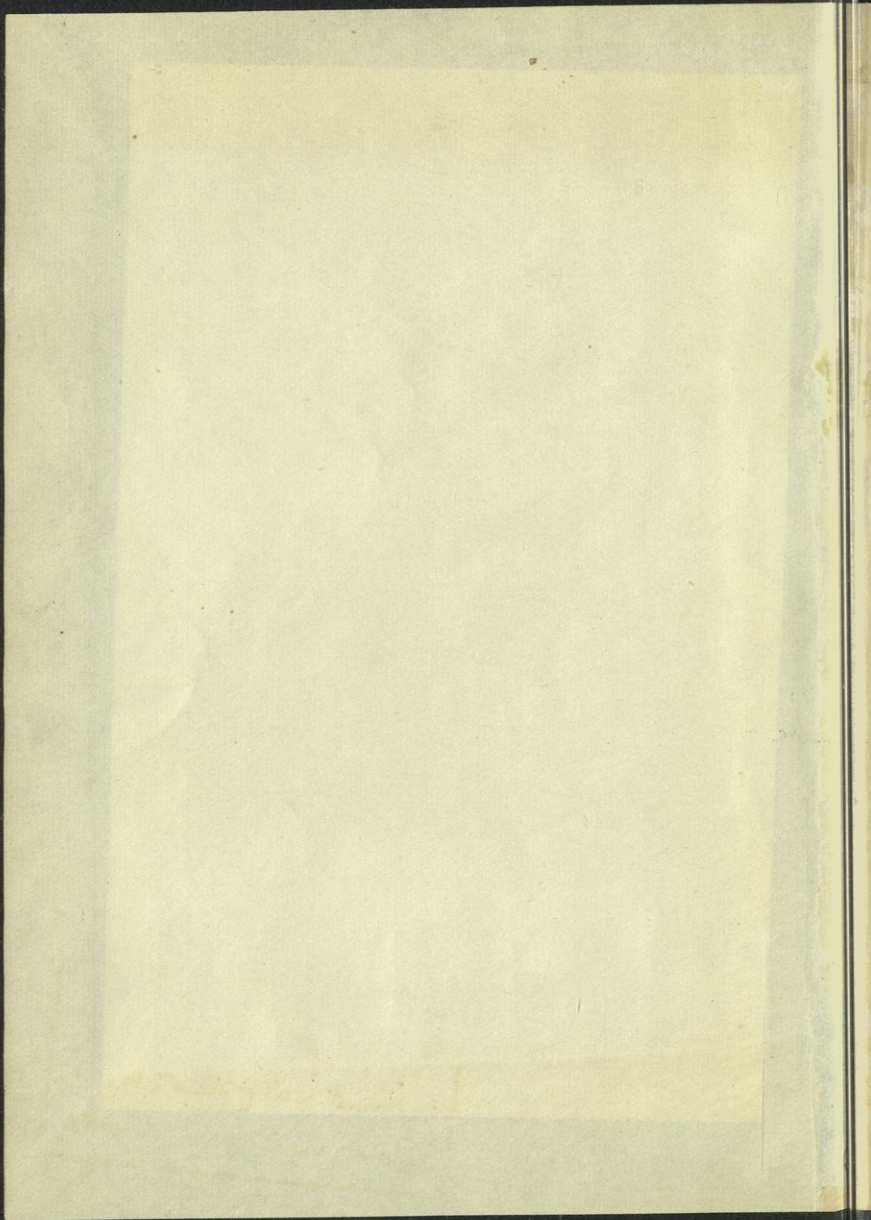
وهو من التحف التي يمتاز بها متحف فلورنسا

حقوق الطبع محفوظة المؤلف

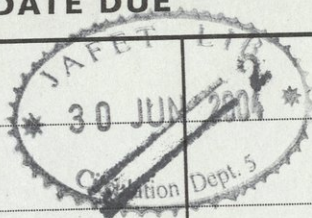
مكتبة العرب

مديرها : صلاح الدين البستاني

٢٨ ش كامل صدقي (الفجالة) القاهرة



DATE DUE



883.1:A13mA:c.1

عبد الله، محمد حسنى

معارك بين الالهة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01031481

El

Beirut



883.1
A13mA

General Library

